الدلالات النفسيَّة
للمُمكِّنات التعبيريَّة
في سورة يوسُف

د/ محمد حسام عبد التواب عبد المجيد عبد الرحيم
أستاذ مساعد بكليَّة الآداب
جامعة الجوف – المملكة العربيَّة السعوديَّة
مدرِّس بكليَّة الآداب – جامعة بني سويف – مصر

الدلالات النفسيَّة للمُمكِّنات التعبيريَّة في سورة يوسُف

محمد حسام عبد التواب عبد المجيد عبد الرحيم
كليَّة الآداب - جامعة الجوف – المملكة العربيَّة السعوديَّة
كليَّة الآداب – جامعة بني سويف – مصر.
البريد الإلكتروني: MHAbdeltawwab@ju.edu.sa

ملخص البحث: يهدف هذا البحث إلى بيان الدلالات النفسيَّة الكامنة وراء المُمكِّنات التعبيريَّة المباشرة وغير المباشرة في سورة يوسُف؛ في محاولة ربط المخرجات اللغويَّة بالدلالات النفسيَّة الداخليَّة (الأفكار – السلوك – الانفعالات)، بحسب ما وردت فيه من سياقات؛ إذ تخبر هذه المُمكِّنات الرئيسة بمساعدة ممكِّنات مساعدة، عن طائفة من الدلالات النفسيَّة الضمنيَّة أو الكامنة وراءها.

ويقصد بالممكِّنات التعبيريَّة: التعبيرات اللغويَّة الاسميَّة والفعليَّة، ذات التأثير الدلاليّ الضمنيّ النفسيّ، والممكِّنة لهذه الدلالات في سياقاتها؛ فثمَّة أبعاد نفسيَّة داخليَّة تستنتج من هذه الممكِّنات؛ لأنَّ كلَّ ممكِّنٍ تعبيريّ يعدُّ مثيرًا من قِبَل المتكلِّم تنتج عنها استجابة نفسيَّة من لدن السامع.

الكلمات المفتاحية: الدلالة النفسيَّة – المُمكِّنات التعبيريَّة – المُمكِّن الاسميّ – الممكِّن الفعليّ.

The psychological connotations of expressive potentials in Surat Yusuf

Mohammed Hussam Abdel Tawab Abdel Majeed Abdel Rahim
College of Arts - Al-Jouf University - Kingdom of Saudi Arabia
Faculty of Arts - Beni Suef University - Egypt.
Email: MHAbdeltawwab@ju.edu.sa

Abstract: This research aims to explain the psychological semantics which behind Expressive Momakkenat Direct and indirect in Surat Yusuf, in an attempt to link the linguistic outputs with the internal psychological semantics (Thoughts - behavior – emotions), according to the contexts contained in it. It tells about a bundle of psychological semantics which behind it.

Expressive Momakkenat mean: the nominative and active linguistic expressions that have a psychological semantics effect, and enable these semantics in their contexts. there are internal psychological dimensions that can be deduced from these Momakkenat. Because every Expression is considered an excitement by the speaker that results in a psychological response in the listener.

Key words: Psychological significance - Expressive potentials - Nominal Empowerment - Actual Empowerment.

مقدّمة

يحاول الباحث في هذا البحث (الدلالات النفسيَّة للمُمكِّنات التعبيريَّة في سورة يوسُف) **–من خلال اسخدام مناهج البحث اللغويَّ التي تتواءم وطبيعة البحث، كالمنهج التداوليّ والمنهج الوصفيّ**– إبراز هذه المُمكِّنات التعبيريَّة الرئيسة والمساعدة، وبيان ما يكمن وراءها من دلالات نفسيَّة عميقة.

فتصاغ الشحنة الداخليَّة النفسيَّة صياغة لسانيَّة، من خلال أضلاع المثلث: المخاطِب والخطاب والمخاطَب؛ إذ تتمخَّض الممكِّنات التعبيريَّة عن دلالات نفسيَّة كامنة (مثيرات) عند المتكلِّم، ينتج عنها ممكِّنات تعبيريَّة (استجابات) تفصح عن دلالات نفسيَّة عند السامع، في أثناء الخطاب.

وثمَّة وشائج وثيقة بين علوم اللسانيَّات وعلم النفس، تمخَّضت عن فرع من فروع علم النفس هو (علم النفس اللغويّ)، كما تمخَّضت عن فرع من فروع علم اللغة هو (علم اللغة النفسيّ أو اللسانيَّات النفسيَّة)، وهذان العلمان يصبَّان في بوتقة واحدة مفادها وجود ترابط وثيق بين المخرجات اللغويَّة والفكر الإنسانيّ الداخليّ وما يعبِّر عنه من مكامن شعوريَّة وحسيَّة.

وقد حلَّت إرهاصات علم النفس في مواطن كثيرة في النصِّ القرآنيّ، ولا سيَّما ما ورد في لغة الأسلوب الحواريّ في القَصص القرآنيّ، ومن ذلك ما ورد في سورة يوسُف موضع الدراسة.

ويختلف البحث الحاليّ عن الدراسات السابقة في أنَّه يهدف إلى بيان الدلالات النفسيَّة للممكِّنات التعبيريَّة، وهذه الممكِّنات أربعة أقسام، هي: (المباشرة وغير المباشرة – الاسميَّة والفعليَّة – الرئيسة والمساعدة (قبليَّة، وبعديَّة) – أحادية الدلالة وثنائية الدلالة ومتعدِّدة الدلالة). وهذا لم تتطرَّق إليه الدراسات السابقة. وقد جاء البحث في أربعة مباحث، هي:

المبحث الأوَّل: الأسلوبيَّة التعبيريَّة والأفعال الكلاميَّة.

المبحث الثاني: الدلالات النفسيَّة للممكِّنات التعبيريَّة المباشرة.

المبحث الثالث: الدلالات النفسيَّة للممكِّنات التعبيريَّة غير المباشرة.

المبحث الرابع: المهادنة الدلاليَّة وتعدُّد الدلالات.

المبحث الأوَّل

الأسلوبيَّة التعبيريَّة والأفعال الكلاميَّة

يرتبط موضوع هذا البحث **بـ(الأسلوبيَّة التعبيريَّة) لـ(شارل بالي)**، كما أنَّه وثيق الصلة **بـ(الأفعال الكلاميَّة) لـ(جون أوستن)**؛ إذ تكشف كلٌّ واحدة منهما في جانب من جوانبها عن وشائج بين الممكِّنات التعبيريَّة والدلالات النفسيَّة.

ويقصد بالتعبير: إفصاح الإنسان عمَّا في نفسه من المعاني والحالات النفسيَّة المعيَّنة بشتَّى وسائل التواصل، كالكلام والإشارة وملامح الوجه، وتصوير الأذهان تصويرًا بارزًا لا غموض فيه.(١)

فثمَّة علاقة وطيدة بين علم اللسانيَّات بقطاعاته المختلفة وعلم النفس، تبرزها الممكِّنات التعبيريَّة في مواضعها وسياقاتها؛ ولأجل هذه العلاقة نشأت اللسانيَّات النفسيَّة بوجه عام.

لقد ظهرت معالم اللسانيَّات النفسانيَّة في الولايات المتحدة الأمريكيَّة، بالنظر إلى الكلام الإنسانيّ وما له من صلات نفسيَّة وعقليَّة داخل الكيان البشريّ؛ أي الحالات النفسيَّة لإنتاج الكلام وإدراكه، والمواقف الذهنيَّة والعاطفيَّة تجاه حدث من أحداث التواصل.(٢) ثمَّ اتَّضحت معالم هذا العلم واستقلَّ استقلالاً تامًّا في النصف الثاني من القرن العشرين.(٣)

---

(١) انظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، محمد عبد الله الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م، ص٣٦، ٣٧.

(٢) انظر: علم اللغة النفسي بين الأدبيات اللسانية والدراسات النفسية، عزيز كعواش، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السابع، جوان ٢٠١٠م، ص٣.

(٣) انظر: علم اللغة النفسي، عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ٢٠٠٦م ، ص٢٥.

وقد بدأ اللسانيُّون –منذ ذلك الحين– بيان الممكِّنات التعبيريَّة التي تتمخَّض عن دلالات نفسيَّة من جهة، واستنتاج الأبعاد النفسيَّة الكامنة وراء هذه الممكِّنات من جهة أخرى.

فالكلمة في اللغة لها معنى أساسي دلاليّ أو معجميّ، وهو معنى موضوعي عام مشترك بين أهل اللغة جميعًا، غير أنَّ بعض كلمات اللغة لها معنى آخر عاطفيّ أو وجدانيّ أو نفسيّ.(١)

فالبعد الدلاليّ النفسيّ العميق يكمن في الوجه الآخر من الممكِّنات التعبيريَّة؛ إذ يتجلَّى المعنى الدلاليّ أو المعجميّ السطحيّ الظاهر في الوجه الأوَّل.

وقد بيَّن العلماء، مثل: فندريس، وفيجوتسكي، وبالمر، وجسبرسن، وشارل بالي، أنَّ الممكِّنات التعبيريَّة الكلاميَّة تحمل في طيَّاتها دلالات نفسيَّة؛ أي تكمن الدلالات النفسيَّة في الممكِّنات التعبيريّة الظاهرة، في مواضعها داخل الجملة؛ لأنَّ الإنسان يفصح عمَّا في نفسه من أفكار عقليَّة وعن مشاعره وأحاسيسه وانفعالاته وعواطفه بهذه الممكِّنات.

ذهب فندريس إلى أنَّ الإنسان لا يتكلَّم ليصوغ أفكارًا فحسب؛ بل يتكلَّم –أيضًا– ليؤثِّر في أمثاله وليعبِّر عن أحاسيسه ومشاعره، فالتعبير عن أيَّة فكرة لا يخلو مطلقًا من لون عاطفيّ(٢)، كما أوضح أنَّ لكلّ جملة قيمة انفعاليَّة، ومن ثمَّ فإنَّ معرفة كلمات الجملة وتحليل عناصرها النحويَّة ليس معناه استخراج كلّ مكوناتها؛ بل يبقى بعد ذلك تقدير قيمتها الانفعاليَّة.(٣)

---

(١) انظر: علم الدلالة (علم المعنى)، محمد علي الخولي، دار الفلاح، عمان، الأردن، ٢٠٠١م، ص٧٢، ٧٣ بتصرّف.

(٢) انظر: اللغة، ج. فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، تقديم: فاطمة خليل، المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠١٤م، ص١٨٢، ١٨٣.

(٣) انظر: اللغة، فندريس، ص١٨٥.

والانفعاليَّة في اللغة تعِّبر عن نفسها على وجه العموم بصورتين: باختيار الكلمات وبالمكان الذي يخصَّص لها في الجملة؛ يعني أنَّ وعائي اللغة الانفعاليَّة الأساسيين هما المفردات والتنظيم.(١)

وبذلك اتَّضح التفسير النفسيّ للحقائق اللغويَّة بعد مؤلفات فندريس؛ حيث إنَّه اهتمَّ بالاتِّجاه اللسانيّ الخاص باللسانيَّات التأثيريَّة؛ فقد عالج اللغة مقتنعًا بأنَّ كلَّ حدث كلاميّ يحمل أثرًا انفعاليًّا، لأنَّ هذا الحدث ليس مجرد تقرير، ولكنَّه تعبير خاص بانفعال معيَّن.(٢)

ولا يقتصر تحليل التعبيرات اللغويَّة على التحليلات اللغويَّة المعهودة فحسب، إنَّما يكتمل من خلال شقَّين، **أوَّلهما:** التحليل اللسانيّ بقطاعاته: الصرفيّ والصوتيّ والنحويّ والدلاليّ، **وثانيهما:** التحليل الدلاليّ النفسيّ الضمني الكامن وراء هذه الممكِّنات.

وبذلك تعدُّ الدلالة النفسيَّة فرعًا مهمًّا من فروع الدلالة، وهي لا تتنافى مع الدلالات الأخرى التي تبوح بها الألفاظ والنصوص اللغويَّة، بل يمكن عدَّها جانبًا مكمِّلاً من جوانب الكشف عن المعنى.(٣)

والناظر إلى الأجواء العاطفيَّة والنفسيَّة التي ترافق استعمال الألفاظ يكشف جانبًا مهمًّا من جوانب المعاني يختبئ خلف هذه الألفاظ، لا تجليه طرق البحث الأخرى عن المعنى كالدلالة المركزيَّة.(٤)

---

(١) انظر: اللغة، فندريس، ص١٨٦.

(٢) انظر: اتجاهات البحث اللساني، مليكا إفيتش، ترجمة: سعد مصلوح ووفاء كامل، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ٢٠٠٠م، ص١٣٢.

(٣) انظر: الدلالة النفسية في سورة مريم، عقيل عكموش عبد، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان (٣- ٤)، المجلد (٦)، ٢٠٠٧م، ص٨٦.

(٤) انظر: الدلالة النفسية في سورة مريم، ص٨٦.

وللمعنى النفسيّ أو الدلالة النفسيَّة تعريفات كثيرة ثمرتها أنَّ هذه الدلالة إحدى منتوجات الممكِّنات التعبيريَّة.

فقد عرَّفه **أحمد مختار عمر** بأنَّه: ما يتضمَّنه اللفظ من دلالات عند الفرد؛ حيث تنعكس المعاني الذاتيَّة النفسيَّة بوضوح تجاه الألفاظ والمفاهيم المتباينة(١)؛ فهو معنى ذاتيّ، لا يتميَّز بالعموميَّة، ولا بالتداول بين الأفراد جميعًا.(٢)

وعرَّفه **العصيلي** بأنَّه علم يهتمُّ بدراسة السلوك اللغويّ للإنسان، والعمليَّات النفسيَّة العقليَّة المعرفيَّة التي تحدث في أثناء فهم اللغة واستعمالها.(٣)

يتَّضح من هذين التعريفين أنَّ المقصودات النفسيّة للإنسان تكمن في الممكِّنات التعبيريَّة، التي تعدُّ مثيرات لدى المتكلِّم تنتج عنها استجابات تعبيريَّة لدى السامع يكمن وراءها دلالات نفسيَّة أخرى.

فالألفاظ تعبر عمَّا في نفس المتكلِّم من معانٍ؛ إذ تقوم في نفسه عمليَّات عقليَّة أو نفسيَّة، تتحوَّل إلى كلمات تنتقل إلى أذن السامع؛ فتقوم في نفسه عمليَّات عقليَّة نفسيَّة موازية.(٤)

وهذا ما بيَّنه **فيجوتسكي** من أنَّ للغة وظيفتين مستقلَّتين، هما: الاتِّصال الخارجي مع الأتراب من بني البشر، وما يعادل هذا في الأهمية وهو الاستخدام الداخليّ لأفكار المرء.(٥)

---

(١) انظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م، ص٣٩.

(٢) انظر: علم اللغة النفسي، للعصيلي، ص١٠٣.

(٣) انظر: علم اللغة النفسي، للعصيلي، ص٢٧.

(٤) انظر: حضور الدرس النفسي في اللسانيات، سمية جلايلي، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقة، الجزائر، العدد الثامن، مايو ٢٠٠٩م، ص٨٢.

(٥) انظر: التفكير واللغة، جوديث جرين، ترجمة وتقديم: عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٢م، ص١١٤.

كما وضَّح **بالمر** وجود علاقة قويَّة بين علم النفس واللسانيَّات أدَّت إلى ظهور اللسانيَّات النفسيَّة، فالمدخل النفسيّ إلى اللغة هو محاولة تفهُّم العمليَّات التي تمرُّ بها اللغة عند المتكلِّم والسامع.(١)

وذكر جسبرسن أنَّ الألفاظ قد ترتبط بالدلالات في بعض الحالات النفسيَّة كالكلمات التي تعبِّر عن الغضب أو النفور والكره، وهذا ممَّا يوضِّح الصلة الوثيقة بين الألفاظ والدلالات(٢)؛ فهدف الألفاظ التعبير عمَّا يجول في الأذهان؛ أي كلّ لفظ يعبِّر عن مدلولٍ نفسيّ.(٣)

وهنا تنبغي الإشارة إلى **الأسلوبيَّة التعبيريَّة لشارل بالي**؛ لأنَّ موضوعها: دراسة المضمون الوجدانيّ والعاطفيّ للتعبير اللغويّ؛ فكلَّ فكرة تتحقَّق في اللغة ضمن سياق وجدانيّ تكون موضع أهمية إمَّا عند المتكلم وإمَّا عند السامع(٤)، كما أنَّ النظم القاعديَّة النفسيَّة هي التي درست العلاقات بين الشكل اللسانيّ والتفكير.(٥)

لقد فرَّق بالي بين نوعين من المعنى، **أوَّلهما:** المعنى المفهوميّ الصريح أو المباشر، **وآخرهما:** المعنى التعبيريّ؛ أي القيم الوجدانيَّة التأثيريَّة، وجعل مهمَّة علم الأسلوب دراسة نماذج هذه القيم التأثيريَّة الكامنة في اللغة بوصفها ذات وجود نظاميّ اجتماعيّ حيّ. وهذا يقود إلى قضيَّة علاقة اللغة بالفكر؛

---

(١) انظر: الدلالات النفسية للحوار القرآني في سورة يوسُف عليه السلام، محمد هاشم ومهد شفيع، د.ن، يونيو ٢٠١٦م، ص٩، ١٠.

(٢) انظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥، ١٩٨٤م، ص٦٨، ٧٠.

(٣) انظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص٧٣، والتعبير القرآني والدلالة النفسية، للجيوسي، ص١٠، ١١.

(٤) انظر: الأسلوبية، بيير جيروا، ترجمة: منذر عياشي، مركز النماء الحضاري، ط٢، ١٩٩٤م، ص٥٤، ٥٦.

(٥) انظر: الأسلوبية، بيير جيروا، ص٥٨.

فالجوانب التعبيريَّة تكشف عن حركات الشعور لدى المتكلِّمين، وتثير الانطباعات لدى المخاطبين(١)، ومن ثمَّ فالأسلوبيَّة التعبيريَّة عند بالي تعتمد الطابع العاطفيّ الأسلوبيّ.(٢)

وهذا عين ما يرتكز عليه البحث الحالي، وهو استنتاج الأبعاد النفسيَّة للممكِّنات التعبيريَّة عند المتكلِّم، وأثر ذلك نفسيًّا على السامع؛ الذي يصدر – نتيجة لذلك– استجابات تتشكَّل في صورة ممكِّنات تعبيريَّة تتمخَّض عن دلالات نفسيَّة.

ويتَّضح هذا البعد التعبيريّ عند بالي من خلال قدرة المتكلِّم على الإفصاح عن مشاعره، لكي ينفِّس عمَّا يعتمل في صدره، بحيث يطلق بخاره الحبيس في اتِّجاه من يتحدَّث إليه، في حين يتَّضح البعد التأثيريّ في التركيز على من يوجّه إليه الكلام لدفعه إلى فعل معين(٣)؛ لأنَّ الكلام هو المفصح عن دوافع الشخصيَّة ورغباتها.(٤)

ولا تنطلق الدلالات النفسيَّة في اللغة من الأرضيَّة النفسيَّة التي انبنى عليها النص فقط، إنَّما تنطلق من تأثير النص على نفسيَّة المتلقِّي من ناحية اختيار الألفاظ وبناء الكلمات أو العلاقة القائمة بين الكلمة والمضمون.(٥)

---

(١) انظر: الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي أسسها ونقدها، محي الدين محسب، مجلة علوم اللغة مج١ ع٢، ١٩٩٨م، ص٧٣، ٧٥.

(٢) انظر: في الأسلوبية التعبيرية الجاحظ نموذجًا، محمد رشاد الحمزاوي، مجلة المعجمية، تونس، ع١٤– ١٥، ١٩٩٩م، ص٢٣ – ٢٧ بتصرُّف.

(٣) انظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط١، ١٩٩٤م، ص٢١١.

(٤) انظر: جمالية القصة القرآنية قصة سيدنا يوسُف أنموذجًا، بان حميد فرحان، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠١، د.ت، ص٣٤٣.

(٥) انظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، للجيوسي، ص٦٠.

وتنقسم الدلالة النفسيَّة إلى نوعين، **أوَّلهما: الدلالة النفسية الموضوعيَّة:** وهي ما يمكن أن يظهر من اللفظ من دلالات ثوانٍ لا تقتصر على شخص بعينه، إنَّما تظهر لغير واحد من المتأمِّلين في هذا اللفظ أو ذاك؛ إذ يتملَّكها اللفظ فتكون حالة فيه على مستوى الصوت، والإيحاء، والتضمُّن، والالتزام، والأسلوب، وإشارة اللفظ، ودلالة الفحوى. **وثانيهما: الدلالة النفسيَّة الذاتيَّة:** وهي التي ينضوي تحتها أنواع المعنى الأخرى، وهي: الدلالة الهامشيَّة، والمعنى النفسيّ والعاطفيّ.(١)

ويتفرَّع من (الدلالة النفسيَّة الذاتيَّة) المعنى النفسيّ الخاص في سياقاته المختلفة، ويمثِّل ذلك عتبات لغويَّة تكمن في مواضعها من النص، ويبيَّن المخطط التالي ذلك:

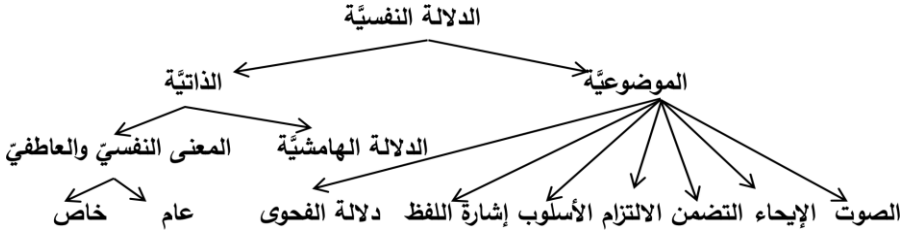

والمعنى الوجدانيّ أو النفسيّ هو المعنى الذي يعكس الدلالات النفسيَّة للمتكلِّم(٢)؛ فينبعث، استجابة لذلك، معنى نفسي آخر عند السامع؛ وهو نوعان: **أوَّلهما: المعنى النفسيّ العام،** وهو المعنى المشترك بين أهل لغة ما، مثل المعنى الوجدانيّ المصاحب لكلمات أب، وأخ، ووطن، وابن، وصديق ... في

(١) انظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، محمد جعفر محيسن العارضي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القادسية، ٢٠٠٢م، ص١٥، ١٨، ١٩ بتصرف.

(٢) انظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠١م، ص٦٤.

اللغة العربيَّة، **وثانيهما: المعنى النفسيّ الخاص**، وهو المعنى الذي يعتمد على تجربة خاصَّة لفرد ما، لا يشترك فرد آخر معه في هذا المعنى.(١)

وهذا المعنى ينشأ استجابة لما يمثِّله اللفظ من مثيرات تلقي أثرًا انفعاليًّا معيَّنًا عند الفرد، فيعكس هذا المعنى جانبًا من اهتمامات هذا الفرد وتطلُّعاته وانفعالاته، فيحاول التعبير عنها أو إخراجها في شكل استجابات انفعاليَّة يحملها المعنى. وكثيرًا ما يكون هذا المعنى صدى لحالة نفسيَّة شعوريَّة يعيشها المتلقِّي لا حالة دلاليَّة يمثِّلها اللفظ في سياق استعماله النفسيّ، فيظهر المعنى رصدًا لهذه الحالة الانفعاليَّة على نحو من الانعكاس أو ردّ الفعل.(٢)

أمَّا من حيث الإيجابيَّة والسلبيَّة، فإنَّ المعاني الوجدانيَّة أو النفسيَّة تنقسم إلى قسمين، **الأوَّل: المعاني النفسيَّة الإيجابية**، التي تشمل العواطف، مثل: الوفاء والحنان والصداقة والأخوَّة والسعادة والسرور والرضا والارتياح. **والثاني: المعاني النفسيَّة السلبيَّة**، التي تشمل حالات، مثل: الغدر والعدوان والشقاء والغضب والسخط.(٣)

وقد ذكر الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ أداة الدلالة هي اللفظ أو الكلمة، والكلمات تترابط مع بعضها داخل الجملة، وثمَّة صلة بين المنطوق من الأصوات وما تدلّ عليه من دلالات، ولهذا المنطوق أثر فيما يوحيه إلى الأذهان من صور قد تختلف قوَّة وضعفًا...(٤)، بل يمكن إدراك العاطفة من خلال الوقوف على اللفظ.(٥)

---

(١) انظر: علم الدلالة (علم المعنى)، ص٧٣، والدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، للعارضي، ص١٣.

(٢) انظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، للعارضي، ص١٩.

(٣) انظر: علم الدلالة (علم المعنى)، ص٧٣.

(٤) انظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص٣٨.

(٥) انظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، للجيوسي، ص٢٦.

ولعلَّ أثر الممكِّنات التعبيريَّة في إنتاج الدلالات النفسيَّة من خلال العبارات الإنجازيَّة أو المثيرات من لدن المكلِّم، وما ينتج عنها من استجابات أو فعل تأثيريّ من لدن والسامع، وثيق الصلة **بنظرية أفعال الكلام لجون أوستن.**

فالعبارة المقصودة في أفعال الكلام تسمَّى (العبارات الإنجازيَّة)، أو التلفُّظ الإنجازيّ، أو الفعل الإنجازيّ وهو الكلمة، وهناك الفعل التأثيريّ الذي بفضله يحدث ردّ فعل المخاطب، وكلّ قول عبارة عن حدث؛ أي هناك قوة إنجازيَّة تشير إلى نوع فعل الكلام المحقَّق عند التلفُّظ، وكيف يجب أن يستقبله المرسل إليه، ويمكن أن يتعلَّق الأمر بطلب أو تهديد أو اقتراح ... وحتَّى يكون فعل الأمر ناجحًا يجب أن يفهم المرسل إليه أنَّه وجّه إليه أمرٌ مستعينًا بالتنغيم أو السياق.(١)

وتتضمَّن نظريَّة الأفعال الكلاميَّة أصنافًا من الأفعال الكلاميَّة، منها الأفعال الكلاميَّة التعبيريَّة النفسيَّة؛ وقوامها إرادة المتكلِّم التعبير عن مشاعره ومواقفه ومكنوناته السيكيولوجيَّة تعبيرًا مخلصًا وصادقًا؛ وذلك لأنَّ الأفعال التعبيريَّة النفسيَّة لها قوة إنجازيَّة ووظائف تأثيريَّة وانفعاليَّة تغدق على المتلقِّي من فيوض مقاصدها الدلاليَّة، وقد سمَّى أوستن هذه الأفعال: (السلوكيَّات).(٢)

وهذه الأفعال التعبيريَّة النفسيَّة هي معيار الانفعالات النفسيَّة الشعوريَّة التي يستطيع الفرد بفضلها أن يعبِّر عن كلِّ حالة نفسيَّة بلفظ معين يدلُّ عليها.(٣) فهي تدلُّ على وجود أثر خارجيّ يؤثِّر في شخص المتكلِّم فتكون لديه حالة نفسيَّة معيَّنة تشكِّل تأثيرًا داخليًّا وجدانيًّا يدفع المتكلِّم إلى التعبير عن

(١) انظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، مكتبة الأمل، ط٢، ٢٠١٢م، ص١٣٧– ١٣٩ بتصرُّف.

(٢) انظر: الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية قي القصص القرآني، دلخوش جار الله حسين، مجلة الآداب العدد ١٦، ٢٠١٦م، ص٤٧، ٤٨.

(٣) انظر: الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية قي القصص القرآني، ص٤٩.

مكنوناته الذاتيَّة، كاستجابة ردّ فعل الأثر الخارجيّ والداخليّ المزدوج، أو ما سمَّاه أصحاب المدرسة السلوكيَّة: وجود مثير واستجابة في حالة إنتاج الفعل الكلاميّ. (١)

وتنقسم الأفعال الكلاميَّة التعبيريَّة النفسيَّة إلى صنفين:

أوَّلهما: الأفعال الكلاميَّة التعبيريَّة النفسيَّة المباشرة، وهي الأفعال الدالَّة على الانفعالات والحالات النفسيَّة فقط؛ فالمتكلِّم يريد أن ينفس بهذه القدرة التعبيريَّة عن ضغوطاته الداخليَّة فيحسّ بالراحة النفسيَّة بإبانته استجاباته الداخليَّة للمؤثِّر الذي دفع به إلى هذا التعبير.(٢)

وآخرهما: الأفعال الكلاميَّة التعبيريَّة النفسيَّة غير المباشرة، وهي الأفعال الدالَّة على الحالات النفسيَّة التي صيغت بهيئات وتراكيب سطحيَّة توجيهيَّة أو إخباريَّة، وحملت قوى دلاليَّة تعبيريَّة تمثِّل الحالات والانفعالات النفسيَّة، مثل: التعجُّب والطمأنينة والغضب والندم والحسرة ... وقد جاءت في القصص القرآنيّ.(٣)

وقد ورد هذان النوعان في سورة يوسُف، وسيبيّن البحث ذلك في المبحثين التاليين.

وتعبِّر الأفعال التعبيريَّة النفسيَّة عمومًا عن الحالات النفسيَّة والمشاعر والأحاسيس، وقد أدَّت هذه الأفعال النفسيَّة الوظيفة التعبيريَّة في القصص القرآنيَّ، الذي بيَّن المكنونات النفسيَّة والانفعالية من خلال الخطابات والمحاورات التي جرت على ألسنة الأنبياء أو الأقوام السابقين؛ ممَّا أدَّى إلى إعانة المتكلِّمين على التنفيس عن ضغوطاتهم الداخليَّة للشعور بالراحة النفسيَّة بإبانتهم عن استجابتهم الداخليَّة للمؤثِّر الدافع بهم إلى هذا التعبير.(٤)

---

(١) انظر: الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية قي القصص القرآني، ص٦٨.
(٢) انظر: الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية قي القصص القرآني، ص٥٠.
(٣) انظر: الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية قي القصص القرآني، ص٥٧.
(٤) انظر: الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية قي القصص القرآني، ص٦٨.

ففي سورة يوسُف، يوجد قدر كبير من حرارة الروح في كلمات يعقوب ومشاعره؛ فهو نبي أكثر منه أبًا، وتتَّضح هذه الصفة خصوصًا في طريقته في التعبير عن يأسه عندما علم باختفاء يوسُف، كما تتجلَّى في طريقته في تصوير أمله حين دفع أبناءه إلى التحسُّس من يوسُف وأخيه. وامرأة العزيز نفسها تتحدَّث بلغة تليق بضمير إنسانيّ وخزه الندم، وأرغمتها طهارة الضحيَّة ونزاهتها على الاستسلام للحقّ، فإذا بها تعترف. وفي السجن يتحدَّث يوسُف بلغة روحيَّة محلِّقة، سواء أكان حديثه مع صاحبيه أم مع السجَّان، فهو يتحدَّث بوصفه نبيًّا يؤدِّي رسالته إلى كلِّ نفس يرجو خلاصها.(١)

ومن ثمَّ يكون للممكِّنات التعبيريَّة مكنوناتها النفسيّة في سياقاتها، وفي مواضع الحوار خاصَّة، كما هو الحال في سورة يوسُف التي تصوِّر الدلالات النفسيَّة للممكِّنات اللغويَّة المباشرة وغير المباشرة (الاسميَّة والفعليَّة) خير تصوير؛ لما تحفل به السورة من دقائق تعبيريَّة موحية مؤثِّرة، نشأت نتيجة انفعالات فتمخَّضت عن دلالات نفسيَّة، وهذه التعبيرات تنوَّعت دلالاتها بين المِحن والمنح والعواطف والمشاعر والانفعالات والمفاجآت والحوادث والابتلاءات ...

فهناك الحب والحزن والكمد والشجن والقلق والتوتُّر ثُمَّ البشارة والفرح والسرور والراحة من قبل يعقوب، وهناك الضعف والحيرة والقلق والصبر ثُمَّ الأمان والطمأنينة والثقة والفرح والسرور والحكمة والحنين من قبل يوسُف، وهناك الغيرة والحسد والحقد والمؤامرة من قبل إخوة يوسُف، وهناك الرغبة والمؤامرة والكيد والمكر من قبل امرأة العزيز ونسوة المدينة ...

والممكِّنات الممكِّنات التعبيريَّة في سورة يوسُف كلُّها إيجابيَّة، ولها صور شتى، قسَّمتها أربعة أقسام، يبيِّنها الجدول التالي:

---

(١) انظر: الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ترجمة: عبد الصبور شاهين، تقديم: محمد عبد الله دراز ومحمود محمد شاكر، إشراف: ندوة مالك بن نبي، ط٤، ٢٠٠٠م، ص٢٥٢.

	القسم الأوَّل		القسم الثاني		القسم الثالث			القسم الرابع		
الممكِّنات التعبيريّة	مباشرة	غير مباشرة	النوع		رئيسة	مساعدة		الدلالة		
			اسميَّة	فعليَّة		قبليّة	بعديّة	أحاديَّة	ثنائيَّة	متعدِّدة

المبحث الثاني

الدلالات النفسيَّة للممكِّنات التعبيريَّة المباشرة

إنَّ البحث في الممكِّنات التعبيريَّة الاسميَّة والفعليَّة ومضامينها يخبر بطائفة من الدلالات النفسيَّة الكامنة وراء هذه التعبيرات اللسانيَّة الظاهرة في سورة يوسُف على ألسنة الشخصيَّات: يوسُف الشخصيَّة المحوريَّة، والشخصيَّات الأخرى: يعقوب، وإخوة يوسُف، وامرأة العزيز، والعزيز، والملك...

وقد بيَّن عبد القاهر الجرجانيّ أنَّ من تحقيق القول في البلاغة والفصاحة أنَّ المتكلِّم يخبر السامع بالأغراض والمقاصد ويُعلمه ما في نفسه ويكشف له عن ضمائر قلبه.(١)

وهذا الإخبار قد يكون بالممكِّنات التعبيريَّة المباشرة، وقد يكون بالممكِّنات التعبيريَّة غير المباشرة؛ ومن ثمَّ فلعلَّ من مدار الفصاحة والبلاغة يكمن فيما تحويه الممكِّنات التعبيريَّة من دلالات نفسيَّة في صورها الثلاثة (الفكر – السلوك – الانفعالات).

ويقوم التحليل النفسيّ للحوار على تتبع العناصر النفسيَّة لحوار الشخصيَّات؛ للتحقيق في الانفعالات التي تصدر عن المتحاورين، كالغضب والحزن والفرح والحقد وغيرها(٢)؛ وبذلك ينطلق الكلام من المستوى التصريحيّ إلى المستوى الإيحائيّ الذي يعطي لعملية التواصل الدلاليّ تلوينًا خاصًّا مستثمرًا ممكِّنات اللغة، ومفجرًا عبقريَّتها بإقحام العلامات اللغويَّة في صياغات جديدة.(٣)

فالقرآن يفضي إلى دلالات نفسيَّة تجود بها ألفاظه وآياته، وينهض بها المقام والسياق؛ لأنَّ القرآن بطبيعته اللغويَّة مشحون في كثير من سوره وآياته

(١) انظر: دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ / ٤٧٤هـ)، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، د.ن، د. ت، ص٤٣.
(٢) انظر: الدلالات النفسية للحوار القرآني في سورة يوسُف، ص١٠، ١١.
(٣) انظر: الدلالة النفسية في سورة مريم، ص٧٢.

بجوٍّ من العواطف والانفعالات التي تثير في النفس الإنسانيَّة عوامل الترقُّب والتأمُّل والاستجابة.(١)

وليست اللفظة المفردة وحدها هي التي تفضي إلى دلالات نفسيَّة؛ إنَّما لا بد من مراعاة النَّظْم؛ أي تلاحم هذه اللفظة مع غيرها داخل التركيب، في سياق محدَّد؛ فينتج عن هذا النظم التركيبيّ التعبيريّ دلالة نفسيَّة.

وقد بيَّن عبد القاهر الجرجانيّ أنَّ نظم الكلم تُقتفى فيه آثار المعاني وتُرتَّب بحسب ترتّب المعاني في النفس، أو بعبارة أخرى: إنَّ العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالَّة عليه في النطق.(٢)

وهذا ما يرتكز عليه البحث الحالي؛ إذ يفصح عن طائفة من الدلالات النفسيَّة، للممكِّنات التعبيريَّة الاسميَّة والفعليَّة الرئيسة في سورة يوسُف، والتي كانت مثيرات من المتكلِّم نتج عنها استجابات لدى السامع، مع بيان أنَّ هذه الممكِّنات الرئيسة ترافقها وحدات لغويَّة أخرى تعدُّ ممكِّنات ثانوية مساعدة في إنتاج الدلالات النفسيَّة.

ومن الدلالات النفسيَّة للممكِّنات التعبيريَّة المباشرة في سورة يوسُف ما يلي:

١- الشوق والحنين:

تتبيَّن الدلالة النفسيَّة (الشوق والحنين) في الممكِّن التعبيريّ الفعليّ (آوى)، الذي ورد مرَّتين في سورة يوسُف، **الأولى:** على لسان يوسُف بعد دخول إخوته عليه في جواب الشرط (لمَّا) بعد واو العطف، **والأخرى:** بعد دخول أبويه عليه في جواب الشرط (لمَّا) بعد فاء الاستئناف؛ ليدلَّ نفسيًّا على الشوق والحنين من قبل يوسُف لكلٍّ من أخيه وأبويه.

(١) انظر: الدلالة النفسية في سورة مريم، ص٧٣.

(٢) انظر: دلائل الإعجاز، ص٤٩، ٥١، ٥٤، ٥٦ بتصرف.

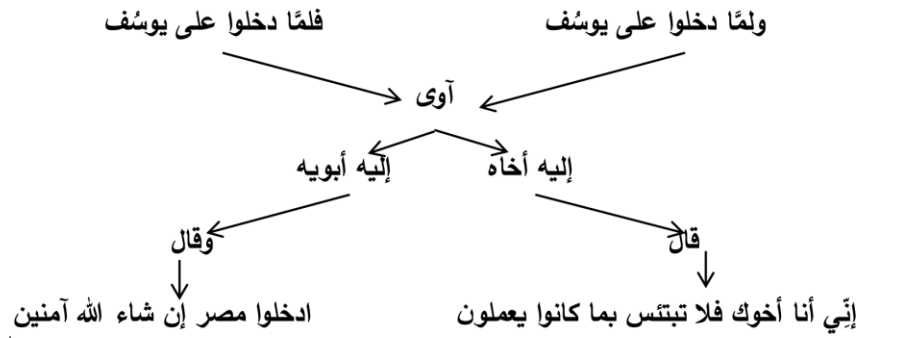

الموضع الأوَّل: في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩﴾ يوسُف: ٦٩، فالفعل (آوى) هنا له قوَّة إنجازيَّة تعبيريَّة هي شوق يوسُف وحنينه إلى أخيه؛ وممَّا يؤكِّد هذه الدلالة النفسيَّة في خلد يوسُف أنَّه طمأن أخاه قائلاً: إنّي أنا أخوك، بادئًا بـ(إنَّ) التأكيديَّة، ثم أكَّد التأكيد بورود ضمير المتكلِّم (أنا) بعد ياء المتكلِّم، دون أن يسبق فعل القول بالواو؛ لأنَّ الموضع موضع خوف وقلق؛ فنشر الطمأنينة في نفس أخيه الذي لا يعرفه يحتاج إلى السرعة.

فلمَّا دخل إخوة يوسُف عليه ورأى أخاه، شكر ذلك لهم، وضمَّه إليه، وآواه[1]؛ وأُطلِق الإيواء هنا مجازًا على الإدناء والتقريب؛ فيوسُف أدنى أخاه منه ليتمكَّن من الإسرار إليه بقوله: (إنّي أنا أخوك).[2]

---

(١) انظر: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل القرآن، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ٣٧٣/٤، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطيَّة (ت٥٤٦هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ٢٦٢/٣، ٢٦٣، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، ط١، ١٩٨٨م، ٣٠٧/٣.

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ٢٦/١٣.

لقد غلب الشوق والحنين يوسُف ناحية أخيه؛ فآواه وطمأنه بالجملة التوكيديَّة، وبتكرار ضمير الفصل (أنا) المؤكِّد لضمير الوصل قبله (ياء المتكلِّم)، ثم جاء بصيغة أخرى طلبيَّة مرادها زيادة الاطمئنان (فلا تبتئس) فقد طمأنه مؤكِّدا ما بداخله بعد أن آواه.

الموضع الثاني: استخدم يوسُف هذا الممكِّن التعبيريّ الفعليّ (آوى) بعد دخول أهله عليه؛ ليدلَّ على الشوق والحنين إليهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩﴾ يوسُف: ٩٩، وقد وقع الفعل في جواب الشرط وأداته (لمَّا) المسبوقة بالفاء الدالَّة على السرعة في الاستئناف دون أن تسبق بمعطوفات كما هو الحال مع إخوته، ويؤكِّد هذه الدلالة أنَّ يوسُف طمأنهم وأمَّنهم بصيغة طلبيَّة دعائيَّة مسبوقة بفعل القول بعد الواو لأنَّ الموضع ليس موضع خوف ولا قلق؛ قائلاً في سكينة تامَّة: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين.

والفعل (أوى) من أفعال الحركة الانتقاليَّة الدالَّة على الإياب، وتدور دلالة مادته حول العودة والرجوع والانضمام إلى الشيء، ومن أهم ملامحه الدلاليَّة: الحركة، والانتقال، والرجوع والإياب؛ أي الرجوع إلى مكان آمن يحقق الحماية والراحة.(١)

ومن ثمَّ تبرز الدلالة النفسيَّة (الشوق والحنين)، الكامنة في الممكِّن التعبيريّ الفعليّ الرئيس (آوى)، الذي جاءت معه ممكِّنات ثانوية مساعدة؛ فجاء بعد الفعل الماضي (دخلوا) في الآيتين، والمسند إليه الفعل في الموضعين واحد هو يوسُف، بينما المأوي في الآية الأولى هو أخوه وقد طمأنه بعد أن آواه، وأكَّد ذلك بمؤكِّدين، أمَّا المأوي في الآية الثانية فهما أبواه، وقد طمأنهم بعد أن آواهم، وأكَّد ذلك أيضًا.

(١) انظر: الدلالة والحركة دراسة في أفعال الحركة في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة، محمد محمد داود، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٤٧، ١٤٩.

ورغم أنَّ هذا الممكِّن التعبيريّ الفعليّ الرئيس (آوى)، يفصح عن حركات جسديَّة سيميائيَّة دالَّة نفسيًّا، فهو لا يفصح وحده عن الدلالة النفسيَّة؛ إنَّما تجلَّى ذلك بمرافقة الوحدات اللغويَّة الأخرى التي تعدُّ ممكِّنات ثانويَّة مساعدة في إبراز الدلالات النفسيَّة.

٢- الأسف والحزن:

تكمن الدلالات النفسيَّة في الصيغ الكلاميَّة المباشرة، وحركات الوجه، والإيماءات والإشارات الجسديَّة.

فمن يبحث عن موقع الدلالة النفسية يجد أنَّ العمليات الذهنيَّة والانفعاليَّة تتفاوت ظهورًا وخفاء، فتارة تأتي صريحة في الخطاب، نحو: أغضبني حديثك، أي حرَّك فيَّ مشاعر الغضب، وتارة تأتي بطريق الإشارة وهو ما يمكن التماسه من ملامح الوجه أو حركات أعضاء الجسم كاحمرار الوجه والامتعاض، وتارة تكون أكثر خفاء، لا يدركها إلاَّ الحاذق من خلال صياغة الجملة.(١)

ويرجع هذا التفاوت في إدراك المعاني النفسيَّة إلى عدة عوامل، منها ما يتعلَّق بالمتكلِّم، ومنها ما يتَّصل بالمتلقِّي، ومنها ما يتعلَّق بالظروف المحيطة.(٢)

ويعدُّ الحزن والأسف من الأفعال التعبيريَّة النفسيَّة المباشرة؛ لأنَّ الأسف فعل تعبيريّ دال على انفعال نفسّي، يقصد به الحزن الشديد؛ فهو أشد من الحزن، ونتيجة لذلك ابيضَّت عينا يعقوب وأصبح كظيمًا مملوءًا بالحزن ممسكًا عليه لا يظهره، أمَّا الحُزن أو الحَزَن فهو انفعال نفسيّ يقصد به خشونة في النفس لما يحصل فيها من الغمِّ.(٣)

(١) انظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، للجيوسي، ص٦٠.
(٢) انظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، للجيوسي، ص٦١.
(٣) انظر: الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية قي القصص القرآني، ص٥٣ – ٥٥.

ومن ثَمَّ فالأسف يجمع الحزن والغضب معًا، وقد يقال لكلّ واحد منهما، وحقيقته ثوران دم القلب شهوة الانتقام، فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضبًا، ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزنًا، ولما سئل ابن عباس عن الحُزن والغضب فقال: مخرجهما واحد واللفظ مختلف، فمن نازع من يقوى عليه أظهره غيظًا وغضبًا، ومن نازع من لا يقوى عليه أظهره حزنًا وجزعًا.(١)

ولقد تجلَّت الدلالة النفسيَّة (الأسف والحزن) في سورة يوسُف من خلال مجموعة من الممكِّنات التعبيريَّة المباشرة، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ يوسُف: ١٣، وفي قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ يوسُف: ٨٤، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴿٨٦﴾﴾ يوسُف: ٨٦، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ﴿٨٨﴾﴾ يوسُف: ٨٨.

فالممكِّنات التعبيريَّة الاسميَّة والفعليَّة تعبِّر عن حالة نفسيَّة لدوافع معيَّنة؛ كفقدان شيء ماديّ أو معنويّ، وقد وردت هذه الممكِّنات التعبيريَّة الكلاميَّة المباشرة من خلال الأفعال الإنجازيَّة الدالَّة على حزن يعقوب، نحو: (ليحزنني – يا أسفى – وابيضَّت عيناه من الحزن – كظيم – بثِّي – حزني – الضرّ)؛ ليعبِّر بدقَّة متناهية عن حزنه العميق على ابنه يوسُف.

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (جبي)، د.ت، ص١٧.

فجاء قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ٨٦﴾ يوسُف: ٨٦، ردًّا على الأبناء بعد ما رأى يعقوب من غلظتهم وفظاظتهم وسوء لفظهم له، في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾ يوسُف: ٨٥، وهذا الموقف دفع المتكلِّم (يعقوب) إلى سلوك التعبير عن حزنه الشديد النابع من نفسه المتألِّمة بفقدان فلذة كبده يوسُف بفعل تعبيريّ نفسيّ: (إنَّما أشكو بثِّي وحزني إلى الله) وهذا الفعل القضوي الإنجازيّ يتشكَّل من التركيب الفعليَّ المكوَّن من المحمول: الفعل (أشكو)، والموضوع: (الفاعل المستتر) العائد على (يعقوب)، والفعل محال إلى الذات الإلهيَّة (الله) وحصر شكواه بآليَّة (إنَّما). كما أنَّ فيه إيحاء بقوَّة إيمانه وعظيم صبره، وكونه قدوة صالحة وأسوة حسنة لغيره، والفعل الإنجازيّ هنا تتشكَّل حمولته الدلاليَّة من قوَّة إنجازيَّة حرفيَّة وهي الحزن.(١)

فلمَّا أخبر إخوة يوسُف أباهم بأسر أخيهم من قبل عزيز مصر لم يصدِّقهم، وتضاعفت أحزانه وهاج عليه الوجد القديم ممَّا جعله ينصرف عنهم انصراف غضب؛ فأنجز فعلاً تعبيريًّا نفسيًّا، وقال: (يا أسفى على يوسُف)؛ تعبيرًا عن انفعالاته النفسيَّة، وهو الفعل الإنجازيّ للمتكلِّم (يعقوب) بهيئته المباشرة (يا أسفى).(٢)

ثم يأتي التعبير النفسيّ المباشر (تولَّى عنهم)، والتولِّي حركة جسديَّة توحي بدلالة نفسيَّة هي الحزن والألم والشجن الذي يعتصر قلب يعقوب إثر تضييع أبنائه يوسُف، وتركهم الآخر عند عزيز مصر؛ ولذلك أعرض عنهم قولاً ووجهًا.

(١) انظر: الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية قي القصص القرآني، ص٥٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري، ٣٨٣/٤.

فمعنى (تولَّى عنهم) أعرض عنهم بوجهه، وجعل يتفجَّع على يوسُف[١]؛ والتولِّي أحد أفعال الحركة الانتقالية الدالَّة على الذهاب، ومن أهم ملامحه الدلاليَّة: الحركة، والانتقال، والذهاب.[٢]

وهنا يتبيَّن أنَّ ما أصاب يعقوب درجة عليا من الحزن مع عطفه على البثّ؛ لعدم قدرة النفس على كبته؛ فاستجابة المتكلِّم لهذا الانفعال النفسيّ والتعبير عنه يمثِّل الفعل التأثيريّ.[٣]

ويتجسَّد هذا الفعل الإنجازيّ في الحمولة الدلاليَّة المتكوِّنة من قوَّة إنجازيَّة حرفيَّة وهي الحزن الشديد؛ فاستجابته لانفعالاته النفسيَّة الداخليَّة لفقدان يوسُف مدَّة طويلة أحدثت أضرارًا بالغة في جسده، صاحبتها تغييرات فسيولوجيَّة بإصابة عينيه بغشاوة بيضاء غطَّت بصره من كثرة البكاء.[٤]

فكلٌّ من ابيضاض العينين والتولِّي والتحسُّر من أحوال يعقوب، ولكنَّها مختلفة الأزمان. ويقصد بابيضاض العينين ضعف البصر، وظاهره تبدل لون سوادهما من الهزال؛ ولذلك عبَّر بـ(ابيضَّت عيناه) دون عميت عيناه. و(مِن) في قوله: (من الحزن) سببيَّة؛ فالحزن سبب البكاء الكثير الذي أحدث ابيضاض العينين.[٥]

ومن ثمَّ فهذا الإنجاز نتجت عنه آثار نفسية في المتلقِّين، نشَّطت مشاعرهم الراكدة، وحرَّكت فيهم عاطفة الغضب فاحتجّوا على أبيهم احتجاجًا غير متأدِّب، عبَّر عنه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾ يوسُف: ٨٥، فهم لم يستجيبوا

(١) انظر: تفسير الطبري، ٣٨٢/٤، والمحرر الوجيز، ٣/ ٢٧٢.
(٢) انظر: الدلالة والحركة، ص١٤٤.
(٣) انظر: الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية قي القصص القرآني، ص٥٤.
(٤) انظر: الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية قي القصص القرآني، ص٥٥.
(٥) انظر: التحرير والتنوير، ٤٣/١٣.

للفعل التعبيريّ؛ بل استجابوا لغريزة الحقد والحسد التي تلوي نفوسهم عن الرحمة؛ فهم لم يرحموا ما بأبيهم، بل لسع قلوبهم حنينه ليوسُف وحزنه الشديد عليه؛ وكأنَّهم يرغبون في أن يطمسوا في قلبه كلّ شعاع يذكره بيوسُف.(١)

والحرض: ما لا يعتدُّ به ولا خير فيه؛ ولذلك يقال لِمن أشرف على الهلاك: حرض(٢)؛ فالمعنى: حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل.(٣)

ومن ثمَّ تبيَّنت الدلالة النفسيَّة من خلال الأمر الإشاريّ بحركات الجسم في قوله تعالى: (فتولَّى عنهم) أي أعرض عنهم بوجهه وجسده، كما تجلَّت الدلالة النفسيَّة الصريحة المباشرة في الممكِّنات التعبيريَّة المباشرة: (يا أسفى – وابيضَّت عيناه من الحزن فهو كظيم)؛ فهذه الممكِّنات تخرج من قلب يعقوب، ذلك الإنسان المكلوم الذي غلبه الحزن حتى بيَّض عينيه.

وتكمن هذه الدلالة –أيضًا– في الممكِّن التعبيريّ الفعليّ: (مسَّنا وأهلنا الضرّ) الذي ورد على لسان إخوة يوسُف في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ ﴿٨٨﴾ ﴾ يوسُف: ٨٨، وفي ذلك دلالة نفسيَّة على ما أصابهم وأصاب أهلهم نتيجة ما عانوه من السفر مرات من فلسطين إلى مصر، ولذلك بدأ الأسلوب التعبيريّ بالأداة (لمَّا) المسبوقة بفاء السرعة؛ إثر حالتهم التي كانوا لا يطيقونها.

ومعنى: (مسَّنا وأهلنا الضرُّ): مسَّتنا الشدَّة من الجدب والقحط.(٤) ومن ثمَّ يكمن في هذا الممكِّن التعبيريّ الفعليّ الحزن الشديد إثر ما آلت إليه نفوسهم.

(١) انظر: الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية قي القصص القرآني، ص٥٥.
(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، ص١١٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري، ٣٨٣/٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري، ٣٨٥/٤.

يأتي إخوة يوسُف للمرة الثالثة إلى يوسُف عزيز مصر، وفي هذه المرَّة لاحظ عليهم يوسُف الحصيف البصير ما آلمه وأحزنه، فقد أثَّرت فيهم السفرات الثلاثة المتتابعة، كما أثَّر فيهم الجدب والفقر، وهَدَّهم فقد أخيهم الصغير، وإبقاؤه عبدًا، وتأخُّر أخيهم الكبير. بدا كلّ هذا على ملامحهم، وعلى تعبيراتهم الكلاميَّة؛ فلمَّا كلَّموه أحسَّ من كلامهم الانكسار والضَّعف، ولمَّا استرحموه واستعطفوه لمس فيهم مزيدًا من المرارة والشكوى، وعلم من كلامهم أنَّ الضرَّ قد بلغ منهم ومن أهلهم في الأبدان والنفوس والحياة ما بلغ؛ فقد نفدت بضائعهم، وقلَّت أموالهم، والآن جاءوا ببضاعة مزجاة (مخلوطة رديئة) ليشتروا بها الحبوب؛ حيث لم تبق لهم بضاعة جيِّدة. وهم الآن يسترحمون العزيز ويستعطفونه، راجين أن يقبل هذه البضاعة وأن يبيعهم بها الحبوب.(١)

وممَّا يدلُّ على دخول إخوة يوسُف عليه هذه المرَّة بنفوس منكسرة تختلف عن سابقتيها، قولهم: (يا أيُّها العزيز) بإظهار حرف النداء، ثم يتبعونه بقولهم: (مسَّنا وأهلنا الضرّ) وعلامة ضرّهم أنَّهم جاءوا ببضاعة مزجاة قليلة غير معتدّ بها، ورغم ذلك يرغبون في أمرين اثنين، أوَّلهما: أن يوفي لهم الكيل، وثانيهما: أن يتصدَّق عليهم. وفي هذا تلميح ليطلق أخاهم ليرجعوا معًا إلى أبيهم، ثم يختتم قولهم بهذا الدعاء: (إنَّ الله يجزي المتصدِّقين)؛ ليثيروا في نفس يوسُف عوامل وكوامن حتى يستجيب لهم. فتعبيرات هذه الآية تتفجَّر لها الحجارة القاسية وتهتزُّ لها جوانب نفس يوسُف.(٢)

وبذلك يتبيَّن تجلِّي دلائل الحزن النفسيَّة في الممكِّنات التعبيريَّة الواردة على لسان يعقوب لأبنائه وعلى لسان أبنائه لعزيز مصر يوسُف، ولكنَّه كان حزنًا ممزوجًا بالشفقة والترحُّم والاستعطاف، من خلال عطف الجمل الفعليَّة

(١) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٨م، ٢/٢٢٦.

(٢) انظر: قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، ط٣، ٢٠١٠م، ص٤٤٢، ٤٤٣.

الماضويَّة: (مسَّنا وأهلنا الضرُّ، وجئنا ببضاعة مزجاة)، ثم الجمل الطلبيَّة الدعائيَّة المعطوفة على بعضها: (فأوف لنا الكيل، وتصدَّق علينا)، وهذه كلُّها ممكِّنات تعبيريَّة نتج عنها دلالات نفسيَّة كامنة، بجانب دلالاتها الظاهرة.

٣- الرغبة والإرادة الجامحة:

تجلَّت دلالة نفسيَّة جديدة في سورة يوسُف هي (الرغبة والإرادة الجامحة)؛ من خلال الممكِّنات التعبيريَّة الفعليَّة المباشرة: (راود – غلَّقت – فتحسَّسوا).

لقد تمخَّض الممكّن التعبيريّ الفعليّ: (راود) بألف المفاعلة في السورة عمَّا في نفس قائله من معانٍ ودلالات نفسيَّة ومشاعر داخليَّة تكمن خلف هذا التعبير في سياقاته المختلفة.

بدأت قصَّة المراودة، بقوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ٢٣﴾ يوسُف: ٢٣؛ والمراودة تعني الملاطفة في السَّوْق إلى غرض، وأكثر استعمال هذه اللفظة في هذا المعنى، بين الرجال والنساء[١]، وتعني –أيضًا– منازعة الآخر في الإرادة، فيريد المنازِع غير ما يريد المنازَع.[٢]

قال الزمخشري: "المراودة: مفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب، كأنَّ المعنى: خادعته عن نفسه؛ أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه".[٣]

والمراودة من الإرادة؛ ففيها إرادة جامحة قويَّة على فعل ما تطلبه امرأة العزيز من يوسُف، فهي تنازعه إرادة لا يريدها فتعتمد لأجل ذلك المخادعة والاحتيال والتلطُّف ... وهذا التلطُّف يكون من جهة المرأة المراوِدة، أمَّا من جهته هو فإنَّ (تراود) يدلُّ التزامًا على الممانعة الأقوى التي عليها يوسُف.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ٢٣٢/٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن، ص٢٠٧.

(٣) الكشاف، للزمخشري، ٢٦٧/٣.

ومن ثم يشحذ هذا التعبير دلالات منها المحاولة والمراوغة والاحتيال عليه، وكأنَّها تدور عليه إبَّان طلبها هذا، وغير بعيد عن هذه الدلالة أنَّها غلَّقت الأبواب وتهيَّأت له.(١)

ويفصح الممكِّن التعبيريّ الفعليّ الرئيس (راود) عن الدلالات النفسيَّة، بمساعدة الممكِّنات التعبيريَّة المساعدة في التعبير القرآنيَّ مثل الكناية عن امرأة العزيز بالموصول الاسمي (التي)، والكناية عن يوسُف بالضمير المنفصل (هو).

وإسناد الفعل إلى اسم موصول كُني به عن امرأة العزيز: (التي هو في بيتها)؛ لقصد ما تؤذن به الصلة من تقرير عصمة يوسُف؛ لأنَّ كونه في بيتها من شأنه أن يطوِّعه لمرادها.(٢) وفي هذا دلالة على أنَّ منبع المراودة امرأة العزيز ويوسُف منها براء.

وهذا الممكِّن التعبيريّ الدال على الماضي المستمرّ (راود) يتمخَّض عن دلالة نفسيَّة هي الرغبة، وقد أسهم في ذلك ما جاء بعده من ممكِّنات تعبيريَّة رئيسة: (وغلَّقت الأبواب – وقالت هيت لك)، وممكِّنات مساعدة أكَّدت رغبة امرأة العزيز، وكشفت براءة يوسُف: (معاذ الله – إنَّه ربِّي أحسن مثواي – إنَّه لا يفلح الظالمون).

وقد جاء هذا الممكِّن التعبيريّ الفعليّ على لسان امرأة العزيز في حضور النسوة، في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ يوسُف: ٣٢، ثم تكرَّر قولها في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ يوسُف: ٥١، والفرق بين القولين أنَّه في الآية الأولى مؤكَّد بمؤكِّدين، هما (اللام وقد)، أمَّا الآية الثانية فليس فيها إلاَّ مؤكِّد واحد

(١) انظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، للعارضي، ص٩٨.
(٢) انظر: التحرير والتنوير، ١٢/٢٥٠.

هو ذكر الضميرين (أنا والتاء)؛ إذ قالت: (أنا راودته عن نفسه) ولم تقل: (راودته عن نفسه)، والفرق بين الموضعين أنَّها في المرَّة الأولى قالتها وهي تتبع من عواطفها ورغبتها وأحاسيسها، قالتها متوعِّدة مهدِّدة تريد أن تظهر قوَّتها وبطشها وترفُّعها ليستجيب لها؛ ولذا أقسمت: (ولئن لم يفعل)، ولكنَّها في الآية الثانية كانت في معرض الاعتراف والإقرار بالحقيقة، ولذلك شفَّعت اعترافها بجملة: (وإنَّه لمن الصادقين)؛ فأكَّدت صدقه بمؤكِّدات كثيرة.(١)

والرَّود يعني معاودة فعل الشيء مرَّة بعد مرة، ومنه الإرادة، والمراودة بين اثنين؛ أي إرادة أحدهما ما لا يريده الآخر. فامرأة العزيز أرادت شيئا لم يرده يوسُف، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ ﴿٣٢﴾﴾ يوسُف: ٣٢، وكذلك إخوة يوسُف يريدون شيئًا لا يرضاه أبوهم لهم، ﴿ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ يوسُف: ٦١، فهم يودُّون شيئًا لا يودُّه أبوهم.(٢)

ثم يتكرَّر هذا الممكِّن التعبيريّ في قول يوسُف الحقيقة مدافعًا عن نفسه(٣): ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ ﴿٢٦﴾﴾ يوسُف: ٢٦، قال يوسُف كلمته الصريحة هذه؛ أي لست أنا الذي أردت السوء، بل هي التي أرادت ذلك، وهذا يُفهم من قوله: (هي راودتني) حيث ذكر الضمير العائد عليها مرَّتين.(٤)

ثُمَّ يرد هذا الممكِّن التعبيريّ بصيغة مضارعيَّة في حوار إخوة يوسُف معه، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ يوسُف: ٦١؛ أي: سنخادعه عنه وسنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده. وإنَّا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى(٥)، أو "سنحاول أن لا يشح به".(٦)

---

(١) انظر: قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص٤٢٦، ٤٢٧.
(٢) انظر: قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص٣٨٩.
(٣) انظر: الكشاف، ٢٧٢/٣.
(٤) انظر: قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص٣٩١
(٥) انظر: الكشاف، ٣٠٢/٣.
(٦) التحرير والتنوير، ١٤/١٣.

لقد عبَّر إخوة يوسُف بهذا الممكِّن التعبيريّ: (سنراود عنه أباه)، ولم يقولوا: (سنراود عنه أبانا)، كما قالوا قبل ذلك: (يا أبانا ما لك لا تأمنَّا)؛ وهذا كلّه من أجل أن يبيّنوا ليوسُف أنَّ الأمر ليس يسيرًا، لكنَّهم سيبذلون جهدهم، وأكَّدوا ذلك بقولهم: (وإنَّا لفاعلون).[١]

لقد استخدم يوسُف مع إخوته أسلوب الترهيب؛ لتقرير حقيقة إحضار أخيهم معهم، فإن لم يأتوه به فلا كيل لهم عنده؛ ولذلك اعتمدوا أسلوب الإقناع: ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١﴾ يوسُف: ٦١، والإقناع في استخدام (سنراود) الذي يشير إلى مقدار ما سيبذلون من جهد ومعاناة في إقناع أبيهم بإرسال أخيهم معهم. لكنَّهم جادُّون في المراودة والإقناع، وقد أظهروا ليوسُف حرصهم على إحضاره بقولهم: (وإنَّا لفاعلون).[٢]

ويتبيَّن أنَّ الممكِّن الرئيس (سنراود) تساعده ممكِّنات ثانويَّة بعديَّة في إبراز الدلالات النفسيَّة، وهذه الممكِّنات هي المؤكِّدات الواردة في سياقات الآيات بعد الفعل (سنراود)؛ إذ تأكَّد الكلام بأكثر من مؤكِّد (إنَّ + اللام) في جملة (وإنَّا لفاعلون)؛ ممَّا يسهم في إنتاج الدلالة النفسيَّة المستنتجة.

فإخوة يوسُف يخبرون أباهم برغبة العزيز في الإيتاء بأخيهم، وقد ضغطوا عليه نفسيًّا ليوافق على إرساله معهم، ويتعهَّدون بحفظه، مؤكِّدين ذلك بـ(إنَّ واللام) في جملة: (وإنَّا له لحافظون).[٣]

ومن ثَمَّ يتمخَّض تعبير المراودة عن دلالة نفسيَّة كامنة هي الرغبة والإرادة الجامحة، عند امرأة العزيز في مراودتها يوسُف، وعند إخوة يوسُف في مراودة أبيهم؛ من أجل إقناعه بإرسال أخيهم معهم.

(١) انظر: قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص٤٣٣.
(٢) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ١٨٩/٢.
(٣) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ١٩١/٢، ١٩٢.

وتكمن هذه الدلالة النفسيَّة (الرغبة والإرداة الجامحة) -أيضًا- وراء الممكِّن التعبيريّ الفعليّ: (وغلَّقت الأبواب) في قوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ ﴿٢٣﴾﴾ يوسُف: ٢٣.

يدور معنى الفعل (غلق) في المعاجم حول الغلق والاستعصاء على الفتح؛ يقال: غلق الباب وأغلقه وغلَّقه فهو مُغلَق، ومنه قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ ﴿٢٣﴾﴾ يوسُف: ٢٣؛ أي أغلقتها.(١) فالغين والام والقاف أصل واحد صحيح يدلُّ على نشوب شيء في شيء، يقال: أغلقت الباب فهو مغلق.(٢)

والفعل (راود) أحد أفعال الحركة التي تنتهي إلى ثبات واستقرار؛ إذ تدور ملامحه الدلاليَّة الحسيَّة حول معاني الحركة، والانتهاء إلى ثبات واستقرار، والموضعيّة، وإحكام سدّ منفذ محدّد.(٣)

جاء التعبير القرآنيّ محكمًا غاية الإحكام، ويدلُّ على ذلك، هذا النظم البديع البائن في مجيء الفعل (غلَّقت) مضعَّف العين دون غيره من الألفاظ مثل (أغلقت)، فالفعل مضعَّف العين تصيغته (فعَّل) ينبئ عمَّا يهيمن على امرأة العزيز، ويصوِّر ما في نفسها أفضل تصوير(٤)، وهذا من باب تضعيف المبالغة لا تضعيف التعدية(٥)؛ وقيل: كانت سبعة أبواب.(٦)

أمَّا من حيث البعد النفسيّ فإنَّ تضعيف لام (غلَّقت) يدلُّ على رغبة المرأة الداخليَّة في يوسُف وحبّها له؛ ويؤكِّد ذلك أنَّها لم تترك الباب مفتوحًا، ولم تغلق

(١) انظر: لسان العرب (غلق).
(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، (غلق)
(٣) انظر: الدلالة والحركة، ص٣٦٤، ٣٦٥.
(٤) انظر: قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص٣٨٩.
(٥) انظر: المحرر الوجيز، ٢٣٢/٣.
(٦) انظر: الكشاف، ٢٦٧/٣.

بابًا واحدًا؛ إنَّما غلَّقت الأبواب كلَّها، وقد أكَّد هذه الدلالة وهذا الشعور النفسيّ الداخليّ ما يلي ذلك من ممكِّنات مساعدة، وهي: الحركة، والكناية، والصوت، والحذف.

فالحركة في لفظ: (وراودته) (بألف المفاعلة الدالَّة على هذه الدلالة)، والكناية باسم الموصول (التي هو في بيتها) عن ذكر اسمها؛ لأنَّ مثلها لا يذاع له سرّ، والصوت الموجود في دعوتها الصريحة الواضحة دون تلميح أو تعريض: (هيت لك)، والحذف في جملة: (معاذ الله).

فثمَّة حوار بين امرأة العزيز ويوسُف بدأته هي؛ إذ غلَّقت الأبواب، ودعته إليها بألطف أساليب الإغراء: (هيت لك). فظهر ما في نفسه من إنكار وكره؛ إذ استخدم تعبيرات: (معاذ الله – إنَّه ربِّي أحسن مثواي – إنَّه لا يفلح الظالمون)[1]، وهو ما يفصح عن دلالة نفسيَّة، هي الرفض والإنكار الداخليّ والخارجيّ من قبل يوسُف.

ويوحي ردُّ يوسُف بالرفض وشدة الإنكار؛ فالحذف في قوله: (معاذ الله)، والأصل: (أعوذ بالله معاذًا)، يدلُّ على أنَّه لم يطل التفكير في عرض امرأة العزيز، ولذلك أكَّد رفضه وإنكاره طلبها بمؤكِّدين: (إنَّه ربِّي أحسن مثواي – إنَّه لا يفلح الظالمون)، وهذا يؤكِّد حرصه على منع نفسه عن الوقوع فيما دعته إليه؛ وقد ذكَّرها بمعنى ما أوصاها به زوجها عند شرائه قائلاً: (أكرمي مثواه)؛ في محاولة لإيقاظ ضميرها حتى تعود إلى رشدها وتترك ما دعت إليه النفس الأمَّارة بالسوء.[2]

لقد تبيَّنت الدلالة النفسيَّة الكامنة (الرغبة والإرداة الجامحة) في بنيتين صرفيَّتين مختلفتين: **الأولى:** في الممكِّن التعبيريّ الفعليّ (راود) بألف المفاعلة على وزن (فاعل) الذي يدلّ نفسيًّا بصيغته الصرفيَّة هذه على الرغبة والإرداة

(١) انظر: الدلالات النفسية للحوار القرآني في سورة يوسُف، ص١٥.
(٢) انظر: الدلالات النفسية للحوار القرآني في سورة يوسُف، ص١٥، ١٦.

الجامحة، **والثانية:** في الممكن التعبيريّ الفعلي (غلَّقت) بتضعيف العين على وزن (فعَّل)، وهذه الصيغة المضعَّفة العين تدلُّ نفسيًّاعلى قوَّة الرغبة والإرادة الجامحة أيضًا، وعضَّد ذلك الخالفة التعبيريَّة (هيت لك)، وغيرها من الممكِّنات التعبيريَّة المساعدة.

وقد انكشفت هذه الدلالة النفسيَّة (الرغبة والإرادة الجامحة) أيضًا في الممكِّن التعبيريّ الفعليّ الطلبيّ مضعَّف العين: (فتحسَّسوا) على لسان يعقوب في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ يوسُف: ٨٧

من أهم الملامح الدلاليَّة للفعل (تحسَّس): الحركة، والموضعيَّة، والخفَّة، وإدراك الشيء أو وصفه.(١)

والتحسُّس يعني شدَّة الطلب والتعرّف، وهو أعم من التجسُّس الذي يعني الطلب مع الاختفاء والتستُّر(٢)؛ فمعنى: (تحسَّسوا): استقصوا ونقِّروا وأمعنوا البحث من خلال استعمال الحواس بدقَّة وذكاء؛ لأنَّ التحسُّس هو طلب الشيء بالحواس من البصر والسمع ويستعمل في الخير والشر، ولكنَّه غالبًا يكون في الخير(٣)؛ أي: اذهبوا فابحثوا عن يوسُف وأخيه بحرص وانتباه، وتعرَّفوا عليهما واطلبوهما بحواسِّكم، فالإحساس يعني المعرفة.(٤)

(١) انظر: الدلالة والحركة، ص٤٤٣،

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٤٥/١٣.

(٣) انظر: المحرر الوجيز،٣/ ٢٧٤، وقصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص٤٤٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري، ٣٨٤/٤، والكشاف، ٣١٩/٣، والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث،٢/ ٢٢٣،

ومن ثمَّ فإنَّ مضمون طلب يعقوب من أبنائه (تحسَّسوا) استخدام التكامل الحسِّي (الحواس كلّها) في البحث؛ أي البحث بجميع الحواس: السمع والبصر وغيرهما؛ رغبة في إدراك يوسُف وأخيه.

ورغم سوء تعبير الأبناء مع يعقوب وغلظتهم في مخاطبته خاطبهم بعاطفة الأبوَّة، برفق ومودَّة، طالبًا منهم التحسّس من يوسُف وأخيه[1]؛ ولذلك أعقبه مباشرة قوله: (ولا تيأسوا من روح الله)، ثُم أكَّد عدم اليأس باستخدام أداة التأكيد (إنَّ) في قوله تعالى: (إنَّه لا ييأس من روح الله إلاَّ القوم الكافرون).

والممكِّن التعبيريّ (تحسَّسوا) له دلالة صوتيَّة؛ حيث أزيزها الحالم، وصوتها المهموس، ونغمها الرقيق؛ نتيجة التقاء حرفي السين متجاورين، وهذا لا تحقِّقه كلمة أخرى تؤدِّي نفس المعنى. فللفظة السينيَّة ما يتناسب مع المعنى.[2] حيث التقى فيها ثلاث سينات، سين مشدَّدة تتلوها سين خفيفة.

ويؤكَّد هذه الدلالة النفسيَّة (الرغبة والإرادة) من قبل يعقوب في بحث أبنائه عن يوسُف بحواسِّهم كلِّها –بجانب الممكِّن التعبيريّ (تحسَّس) السيني، مضعَّف العين، الدالّ على ذلك– قول القرآن على لسان يعقوب: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤﴾ يوسُف: ٩٤، فاستخدم الممكِّن التعبيريّ المساعد (أجد) مع (ريح يوسُف)، (تكامل حسِّي)، وهذه دلالة على تأكيد رائحة يوسُف دون شك، وخاصَّة أنَّ يعقوب أصابه الضرّ فهو يعلم طبيعة من يتحسَّس خطاه وسط الظلام فيكون في أعلى درجات التركيز.

وبذلك يمكن القول: إنَّ الممكِّنات التعبيريَّة الرئيسة لا تقف مفردة في إبراز الدلالات النفسيَّة، إنَّما يساعدها في ذلك ممكِّنات مساعدة، منها: التأكيد، والصوت، والحركة، والحذف ...

(١) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث،٢/ ٢٢٣، ٢٢٤.
(٢) انظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، للعارضي، ص١٦.

٤- العاطفة الخجلى والشعور بالذنب:

تكمن هذه الدلالة النفسيَّة خلف الممكِّنات الاسميَّة والفعليَّة المباشرة، متبوعة بممكِّنات مساعدة تأكيديَّة متعدِّدة في سياقات الآيات؛ وهذه الممكِّنات تعبِّر عن الاعتراف تارة، وعن الاعتذار تارة أخرى، نحو: (حصحص الحق – وإنَّه لمن الصادقين – وما أبرِّيء نفسي – وإن كنَّا لخاطئين – إنَّا كنَّا خاطئين).

من ذلك ما ورد في الآيات بعد أن شهدت النسوة المراودات ببراءة يوسُف، اعترفت امرأة العزيز أمام الملك اعترافًا صريحًا ببراءته أيضًا، ومزجت اعترافها بإشارات وتلميحات مقصودة، في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ يوسُف: ٥١ - ٥٢، فقد اعترفت من أجل يوسُف، ودفعها إيمانها بالله إلى ذلك الاعتراف.(١)

فهنا تعترف امرأة العزيز بالمراودة وتقرُّ باستعصام يوسُف، وقد عبَّرت عن زهوها وانتصارها بقولها: (فذلكنَّ الذي لمتنَّني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم)(٢)، وذلك لمَّا دعا الملك النسوة فبرَّأنه، أقرَّت قائلة: (الآن حصحص الحق)؛ أي: ضاق الكذب وتبيَّن الحق.(٣)

وفي نهاية اعترافها برَّأت يوسُف ولم تبرّئ نفسها، وتوجَّهت إلى الله بالاستغفار، ائلة: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ

(١) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ٢/١٧١، ١٧٢.
(٢) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث ،٢/ ١٣٣، ١٣٤.
(٣) انظر: معاني القرآن، للفراء،٢/ ٤٨.

﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ يوسُف: ٥٣، وهذه موضوعيَّة كبيرة، وتغيير إيجابيّ.(١)

وتكمن هذه الدلالة النفسيَّة –أيضًا– وراء الممكِّن التعبيريّ الفعليّ (لقد آثرك الله علينا) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾﴾ يوسُف: ٩١

يعمُّ لفظ (آثرك) جميع أنواع التفضيل والعطايا(٢)؛ فالمعنى: لقد فضَّلك الله علينا بالعلم والحلم والفضل والتقوى والصبر وسيرة المحسنين، وإنَّ شأننا وحالنا أنَّنا كنَّا خاطئين متعمِّدين الإثم.(٣)

وقد جاء هذا الممكِّن التعبيريّ مؤكَّدًا بمؤكِّدين على لسان إخوة يوسُف بعد ما عرفهم وعرفوه إبَّان قدومهم عليه؛ فالسياق سياق اعتذار واعتراف بالخطيئة يُقابل بتسامح عالٍ لا يصدر إلاَّ عن ذوي النفوس الكبيرة وكذلك يوسُف، فيأتي (آثرك) في هذا السياق حاملاً شحنة من العاطفة الخجلى إزاء كرم النفس والصفح الجميل. و(آثرك) هنا يستقدم (يجتبيك) التي كانت على لسان يعقوب خطابًا ليوسُف؛ فكلاهما يعطي الدلالة على التأهيل والاصطفاء الرساليّ، كما يوحي استعمال فعل الإيثار بالندم وطلب المغفرة وذلك ما يعزِّزه السياق القرآنيّ؛ إذ دعا لهم يوسُف بالمغفرة، في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ يوسُف: ٩٢، وأجمل ما يوحي به (آثرك) التهنئة والغبطة والتوق إلى الأكمليَّة والأفضليَّة

(١) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ١٧٥/٢.
(٢) انظر: المحرر الوجيز، ٢٧٧/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري، ٣٨٦/٤. الكشاف، ٢٢٢/٣.

اليوسُفيَّة التي كانت سببًا في الحسد والكيد، ثُمَّ صارت سببًا في المغفرة والحب.(١)

كما تبيَّنت هذه الدلالة النفسيَّة –أيضًا– في الممكِّنات الواردة على لسان إخوة يوسُف بعد معرفة الحقيقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧﴾ يوسُف: ٩٧، ويعزّز ذلك استجابة أبيهم لهم بعد أن طلبوا منه المغفرة؛ قال تعالى: ﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٩٨﴾ يوسُف: ٩٨

ومن ثَمَّ فهذه طائفة من الممكِّنات التعبيريَّة الرئيسة تساعدها ممكِّنات ثانويَّة (قبليَّة وبعديَّة) تتمخَّض عن دلالة نفسيَّة هي العاطفة الخجلى والشعور بالذنب والاعتراف بالخطأ من قبل امرأة العزيز تجاه يوسُف، ومن قبل إخوة يوسُف تجاه أخيهم مرَّة، وتجاه أبيهم مرَّة أخرى.

(١) انظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، للعارضي، ص٣٩.

المبحث الثالث

الدلالات النفسيَّة للممكِّنات التعبيريَّة غير المباشرة

١- الحنان والاستعطاف:

انبعثت دلالة الحبّ والحنان واستمالة القلب والقرب منه والاستعطاف أولى الدلالات النفسيَّة من مضامين الممكِّنات التعبيريَّة غير المباشرة في سورة يوسُف؛ فالتعبيرات تتمخَّض عن دلالة حبِّ يعقوب يوسُف وأخاه وأبناءه الآخرين، لكنَّ درجات هذا الحب متفاوتة؛ فأعلاها منزلة حبه يوسُف، وأوسطها حبِّه أخاه، وأدناها حبِّه أبناءه الآخرين.

وأوَّل ممكِّن تعبيريّ يتمخَّض عن هذه الدلالة النفسيَّة هو التعبير الندائيّ (يا أبتِ) في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ يوسُف: ٤، فكان هذا الممكِّن مثيرًا دالّ نفسيًّا من قبل المتكلِّم (يوسُف)، نتجت عنه استجابة في ممكِّن تعبيريّ ندائيّ آخر دالّ نفسيًّا من قبل السامع (يعقوب)، هو (يا بُنيّ) في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۝٥﴾ يوسُف: ٥، فلمَّا أفصح يوسُف عمَّا بداخلة بالممكِّن (يا أبتِ)، ردَّ عليه يعقوب مفصحًا عمَّا بداخله بالممكِّن (يا بُنيّ).

وبذلك يستنتج انَّ الممكِّن التعبيريّ له بُعدان، **أحدهما:** سطحيّ ظاهر، **والآخر:** عميق نفسيّ كامن.

فهذا الممكِّن التعبيريّ (يا أبتِ) يفصح عن أبعاد نفسيَّة تتمركز في عاطفة الحبّ والرفق والحنان واللين والقرب من القلب في مواضعه القرآنيَّة الثمانية.[١]

(١) يوسُف٤، ١٠٠، ومريم، ٤٢، ٤٣، ٤٤، و٤٥، والقصص٢٦، والصافات١٠٢.

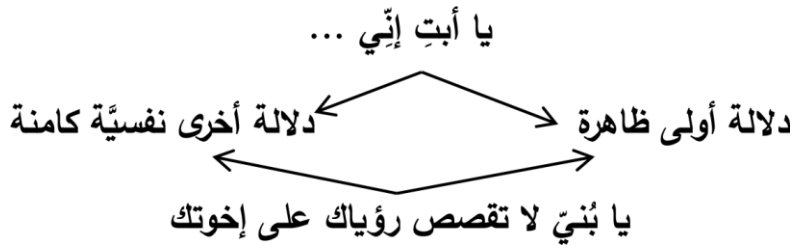

لقد ورد هذا الممكِّن التعبيريّ مرَّتين في السورة، **الأولى:** في محاورة يوسُف أباه أوَّل السورة، في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ يوسُف: ٤، واختير هذا الممكِّن التعبيريّ الندائيّ في هذا الموضع دون التعبير الشائع (يا أبي – يا أبانا)، الذي عبَّر به القرآن في حوار إخوة يوسُف مع أبيهم في ستَّة مواضع[1]؛ لما يتمخَّض عنه الممكِّن المذكور من دلالة نفسيَّة خاصَّة مفادها الحنان والاستعطاف.

فحين أراد يوسُف أن يقصّ رؤياه على أبيه ناداه: (يا أبتِ)، وهذه مخاطبة تعبيريَّة رقيقة، استُخدم فيها ممكِّن تعبيريّ سطحيّ ظاهر رقيق تمخَّض عن دلالة نفسيَّة عميقة كامنة هي الحب والاستعطاف واستمالة القلب، وهذا الممكِّن يعدُّ مثيرًا نتجت عنه استجابة المخاطَب (يعقوب)؛ فأنتج جوًّا نفسيًّا عاطفيًّا مناسبًا يمكن ليوسُف خلاله طرح رؤياه على أبيه؛ ممَّا ينبئء عن المشاعر والأحاسيس والحبّ المتبادل بين يوسُف ويعقوب؛ من أجل استمالة قلب أبيه وعقله وفكره ووجدانه وعاطفته، قبل أن يقصّ عليه رؤياه.

بدت نفسيَّة يوسُف في هذا الحوار مفعمة بالحيرة والاضطراب والضيق النفسيّ؛ إذ عُرضت عليه رؤيا النبوَّة وهو في أشدِّ الحيرة بهول هذه الرؤيا؛ فلجأ إلى أبيه يستشيره في رؤياه، وألقى عليه ما يكتمه في وجدانه من الشعور؛ لكونه أقرب الناس إليه.

(١) يوسُف ١١، و١٧، و٦٣، و٦٥، و٨١، و٩٧.

ويُسمع في هذا التركيب الندائيّ: (يا أبتِ) صوتٌ ليّنٌ جميلٌ ترتاح له الأذن؛ ممَّا يدلُّ على شعور يوسُف بالحنان فى مخاطبة أبيه، فجاءت استجابة يعقوب له في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ يوسُف:٥؛ فالشعور متبادل بين يوسُف ويعقوب.(١)

وهذا التعبير الندائيّ مع كون المنادى حاضرًا (يعقوب / يوسُف)، يُنزِل المخاطَب منزلة الغائب المطلوب حضوره؛ فيوحي بطلب إحضار الذهن اهتمامًا بالخبر الذي سيُلقى على المخاطَب.(٢)

وقد أفصح القرآن عن رؤيا يوسُف هذه بصيغة الماضي (رأيت)، ممَّا يدلُّ على أنَّ يوسُف كتم أمر رؤياه مدَّة زمنيَّة في بداية الأمر قبل أن يقص رؤياه على أبيه؛ إلاَّ أنَّه أصبح لا طاقة له بكتمانها، فلجأ إلى أبيه كاتم سرّه ومستودع أسراره؛ للخروج من هذا المأزق؛ بينما عبَّر القرآن عن الرؤى الأخرى بصيغة المضارع (أرى)، مثل رؤيا السجينين في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا﴾ يوسُف: ٣٦، ورؤيا الملك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ﴾ يوسُف: ٤٣، بينما في رؤيا يوسُف جاء في صيغة الماضي.(٣)

ولمَّا خشي يعقوب على يوسُف كيد إخوته؛ لأنَّه استشفَّ من الرؤيا أنَّ يوسُف سيؤتيه الله مبلغًا من العلم والحكمة، ويصطفيه للنبوَّة، وينعم عليه بشرف الدارين، كما فعل بآبائه(٤)؛ ناداه: (يا بُنَيّ) ليلفت انتباهه، ثمَّ نهاه عن

(١) انظر: الدلالات النفسية للحوار القرآني في سورة يوسُف، ص١٢، ١٣.
(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير، ٢٠٧/١٢، ٢١٢ بتصرُّف.
(٣) انظر: الدلالات النفسية للحوار القرآني في سورة يوسُف، ص١٢.
(٤) انظر: الكشاف، ٢٥٥/٣.

قصِّ رؤياه على إخوته؛ خشية أن يُشعِل بذلك غلَّ صدورهم، فيسعوا إلى إبعاده عن أبيه.(١)

فلمَّا استعمل يوسُف الممكِّن التعبيريّ الندائيّ (يا أبتِ)، صار هذا الممكِّن مثيرًا نتجت عنه استجابة يعقوب، في صورة الممكِّن التعبيريّ الندائيّ (يا بُنيّ)، وبعد ان ناداه نهاه خائفًا عليه قائلاً: (لا تقصُص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا).

وجاءت كلمة (كيدًا) منوَّنة؛ فدلَّ التنوين نفسيًّا على التعظيم والتهويل، زيادة في تحذير يوسُف من قصّ رؤياه على إخوته.(٢)

ثُمَّ جاء هذا الممكِّن التعبيريّ الندائيّ (يا أبتِ) مرَّة أخرى عندما التقى يوسُف أبويه وأخبرهما بتحقيق رؤياه، آخر السورة، في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّاۖ ﴿١٠٠﴾﴾ يوسُف: ١٠٠، وهنا تتجلَّى الوحدة الموضوعيَّة من خلال الربط بين أوَّل السورة وآخرها، وتتجلَّى الدلالة النفسيَّة والمشاعر الكامنة وراء هذا الممكِّن التعبيريّ.

يستنتج من هذا الممكِّن التعبيريّ (يا أبتِ) في صدر السورة وعجُزها، أنَّه ورد في موضع الحوار المباشر بين يوسُف وأبيه؛ وذلك لما يتضمَّنه هذا الممكِّن من دلالات وذكريات، بينما في وجود إخوة يوسُف عبَّر القرآن بلفظ (أبي)، قال تعالى: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى ﴿٩٣﴾﴾ يوسُف: ٩٣، ولم يقل: (فألقوه على وجه أبتِ)؛ ممَّا يبرهن على وجود دلالة نفسيَّة خاصَّة تسحضر في الخطاب المباشر بين يوسُف وأبيه من خلال الممكِّن التعبيريّ الندائيّ (يا أبتِ)؛ لما بينهما من عرى المحبَّة.

(١) انظر: المحرر الوجيز، ٣/٢٢٠.
(٢) التحرير والتنوير، ١٢/٢١٣.

ولم يتوقَّف الأمر التعبيريّ عند هذا الحدّ؛ لأنَّ في قوله: (فألقوه على وجه أبي) اتَّصلت ياء المتكلِّم بكلمة (أبي)؛ فأضافه إلى نفسه بياء المتكلِّم دون سائر إخوته، ولم يقل: (فألقوه على وجه أبينا)؛ ممَّا يؤكِّد الدلالة النفسيَّة الكامنة، وهي المحبَّة والارتباط المتين بين يوسُف وأبيه، أمَّا مع الأهل جميعًا، فقد عبَّر القرآن بنسبتهم إلى إخوة يوسُف، في قوله تعالى: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ يوسُف: ٩٣

فالجانب النفسيّ في حوار يوسُف مع أبيه واضحٌ جليٌّ افتُتحت به السورة واختُتمت به، لكنَّه في بدايتها يظهر القلق الشديد الذي شعر به يعقوب في فلسطين، بينما في نهايتها أدرك تأويل الرؤيا في مصر؛ فلم يعد في حالة قلق واضطراب، بل كلَّمه مرتاح الفؤاد ساكن البال، وفرح بنعم الله على ابنه. فالمشاعر السلبيَّة التي تواجدت حين الرؤيا عوَّض عنها بمشاعر إيجابيَّة عند اللقاء؛ فهي تكمل بعضها بعضًا، وهذا الأسلوب من السمات التمييزيَّة للحوار في سورة يوسُف.(١)

ومن الممكِّنات التعبيريَّة التي تتمخَّض عن دلائل الحبّ بين يعقوب ويوسُف أيضًا، ردّ فعل يعقوب لمَّا ترك أبناؤه أخاهم الثاني عند عزيز مصر؛ إذ أعرض عنهم وأسف على يوسُف، في قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴿٨٤﴾﴾ يوسُف: ٨٤، وحينما طالبهم بالتحسُّس بدأ بيوسُف ثم أخيه، قال تعالى: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴿٨٧﴾﴾ يوسُف: ٨٧

ولا تقتصر دلالة الحنان والاستعطاف واستمالة القلب بين يعقوب ويوسُف فحسب، إنَّما تفصح الممكِّنات التعبيريَّة اللسانيَّة في السورة عن وجود أواصر هذه الدلالة النفسيَّة بين يعقوب وأبنائه جميعًا، لكنَّ هذه الدلالة النفسيَّة تتفاوت

(١) انظر: الدلالات النفسية للحوار القرآني في سورة يوسُف، ص١٣.

في الدرجات بين يعقوب وأبنائه، فقد بلغت قوَّتها في التعبيرات الكلاميَّة بين يعقوب ويوسُف، ثُمَّ جاءت في المرتبة الثانية بين يعقوب وابنه الثاني شقيق يوسُف من أمه وأبيه، ثُمَّ في المرتبة الثالثة بين يعقوب وأبنائه الآخرين.

فمن الممكِّنات التعبيريَّة التي تفصح عن دلالة الحنان والاستعطاف والحب الأبويّ بين يعقوب وابنه الثاني ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ﴾ يوسُف: ٦٤، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ﴾ يوسُف: ٦٦؛ فمن عاهد على حفظ أحد وتأمينه أحبَّه.

وفي الجانب الآخر تمخَّضت بعض الممكِّنات التعبيريَّة المباشرة على لسان إخوة يوسُف عن دلالة الحب بين يعقوب وابنيه (يوسُف وأخيه)، في قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ يوسُف: ٨؛ فحسدهم يوسُف وأخاه يخبر نفسيًّا عن حبِّ يعقوب لهما وتعلُّقه بهما.

كما تفصح الممكِّنات التعبيريَّة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾ يوسُف: ٦٧، عن عرى المحبَّة بين يعقوب وأبنائه، فكان لهم ناصحًا أمينًا؛ خشية عليهم؛ ومن نصح إنسانًا أحبَّه.

ومن ثَمَّ فالدلالة النفسيَّة (الحنان والاستعطاف واستمالة القلب والحب الأبويّ)، قد تمخَّضت عنها الممكِّنات التعبيريَّة الاسميَّة والفعليَّة في المحاورات بين يعقوب وأبنائه جميعًا من خلال الأساليب الدالَّة نفسيًّا، مثل أسلوب النداء، وأسلوب النهي، وأسلوب التحسُّر، وأسلوب الاستفهام التعجُّبيّ، وأسلوب النفي، لكنَّ هذه الدلالة ترتَّبت في ثلاث درجات، أو في ثلاث مراتب أعلاها الممكِّنات التعبيريَّة بين يعقوب ويوسُف (يا أبتِ – لا تقصص – يا أسفى على

يوسُف – فتحسَّسوا من يوسُف وأخيه)، وأوسطها الممكِّنات التعبيريَّة بين يعقوب وابنه شقيق يوسُف (هل آمنكم عليه – لن أرسله معكم – ليوسُف وأخوه أحبُّ إلى أبينا منَّا) ، وأدناها بين يعقوب وأبنائه الآخرين (يا بنيّ لا تدخلوا من باب واحد – وادخلوا من أبواب متفرِّقة).

٢- الكَذِب والخديعة:

تمخَّض الممكِّن التعبيريّ الفعليّ (أكله الذئب) عن دلالة نفسيَّة هي (الكَذِب والخديعة)؛ لأنَّ الكذب خلاف الحقيقة، وكذلك مضمون هذا الممكِّن التعبيريّ يخالف الحقيقة؛ لأنَّ يوسف لم يأكله الذئب، فورود هذا الممكِّن التعبيريّ في سياقه أنتج دلالة نفسيَّة وأثَّر في نفس يعقوب؛ لأنَّ هذا التعبير يقطع كلَّ أمل في عودة يوسُف وفي مجرَّد التفكير في ذلك؛ ولذلك لم يقل القرآن: (فافترسه الذئب) أو (فخطفه الذئب) أو (فنهشه الذئب) ... إنَّما اختار لفظًا يدلُّ نفسيًّا على عدم وجود أثر ليوسُف؛ ومع هذه الدلالة الإيجابيَّة المقصودة من إخوة يوسُف كان يعقوب على يقين أنَّ يوسُف لا يزال حيًّا، وظلَّ يترقَّب عودته ويتحسَّس وجوده في الآيات التاليات.

ومن ثمَّ فعندما عرض إخوة يوسُف على أبيهم قميص يوسُف مخضبًا بالدماء الكذب لم يصدِّقهم، ورغم ذلك لم يكشف لهم أمر كيدهم، وكان يعلم من تفسير الرؤيا أنَّ يوسُف سيبلغ مبلغ الرجال؛ وسيكون ذا شأن يستحقّ معه أن يخضع له الناس، وأن يسجد له أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر؛ ومن ثم لا يمكن أن يكون الذئب قد أكله؛ ولذلك ففي أشدِّ حزنه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ يوسُف: ٨٦؛ أي يعلم أنَّ يوسُف حيّ.(١)

(١) انظر: البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٥٦٣.

ومن بديع النَّظم في النصِّ القرآني أنَّه يسير في حلقات محكمة مترابطة؛ إذ ورد هذا التعبير في سورة يوسُف ثلاث مرَّات متواليات مترابطات، **الأولى:** على لسان يعقوب في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ يوسُف: ١٣، فالدلالة النفسيَّة لهذا التعبير الفعليّ الذي تنوَّع بين الماضي والمضارع، تكمن في حزن يعقوب، ولذلك عبَّر القرآن بالتعبير الصريح المباشر المؤكَّد بـ(إنَّ) في قوله: (قال إنّي ليحزنني).

وقول يعقوب هذا يخبر عن أنَّه أرسل يوسُف معهم مكرهًا؛ فكأنَّه يقول لهم: إنَّ عدم إرسالي يوسُف معكم ليس تخوينًا لكم، ولكن لعدم صبري على فراقه، فهو لا يطيق مشاق الرعي، ولا ملاحقة الماشية، ثم صور لهم خشيته عليه، وخوفه أن يأكله الذئب وهم في حالة غفلة؛ أي سترعون الماشية وتلاحقونها وقد تغفلون عن أخيكم الصغير ولا تتنبهون له، فيأتيه ذئب مفترس فيأكله.(١)

والمرَّة الثانية: جاء هذا الممكِّن التعبيريّ استجابة للمثير الذي يمثِّله قول يعقوب؛ إذ جعل إخوة يوسُف هذا الممكِّن التعبيريّ الفعليّ موضع خسران لهم إن وقع وهم عصبة، قال تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ يوسُف: ١٤.

فجاء ردُّهم على أبيهم ردًّا يبعد عن ذهنه ما يخشاه ويتوقَّعه؛ كي تنجح خطَّتهم المضمرة في نفوسهم.(٢) فهم يراودون أباهم حتى يأذن لهم في ذهاب يوسُف معهم، وهنا تظهر مخادعتهم له، وادِّعائهم الحرص على يوسُف،

(١) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ٢/٩٧، ٩٨.
(٢) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ٢/٩٨.

ويزيلون مخاوف يعقوب على تقصيرهم في يوسُف، ويتعهَّدون إعادته له سالمًا؛ فيوافق أبوهم على ذهابه معهم.(١)

ولكي ينفِّذوا خطَّتهم بإحكام طرحوا آليَّات إقناع أبيهم، وقد بيَّن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ١٢﴾ يوسُف: ١١ – ١٢؛ إذ تقتضي الآية الأولى علم أبيهم إرادتهم المضمرة في جهة يوسُف.(٢)

بدأ إخوة يوسف كلامهم مع أبيهم بالهجوم عليه؛ حتى يزيلوا ما في قلبه من شك؛ ولذلك أكَّدوا له نصحهم أخاهم قائلين: (وإنَّا له لناصحون)، ثمَّ فسَّروا قولهم هذا بقولهم: (أرسله معنا غدًا يرتع ويلعب)، ثمَّ أكَّدوا حرصهم على أخيهم وحفظهم له، فقالوا: (وإنَّا له لحافظون)، ولكنَّهم في الجملتين اللتين أكَّدوا فيهما حرصهم على يوسُف وحفظهم له: (وإنَّا له لناصحون) (وإنَّا له لحافظون)، كانوا كاذبين في كلامهم، وكاذبين في تأكيدهم.(٣)

لقد دلَّت الممكِّنات التعبيريَّة التأكيديَّة المساعدة في الآيات على كذب إخوة يوسُف؛ فلا هم ناصحين له، ولا هم حافظين؛ ومن ثمَّ فالدلالات النفسيَّة المستوحاة من الممكِّنات التعبيريَّة دلالات عكسيَّة.

ثمَّ يرد التعبير نفسه في **المرَّة الأخيرة**، ومعه التبرير؛ لأنَّ إخوة يوسُف ذهبوا يستبقون وتركوه عند متاعهم؛ قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ

(١) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ٨٠/٢، ٩٦.
(٢) انظر: المحرر الوجيز، ٢٢٣/٣.
(٣) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ٩٦/٢.

كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ يوسُف: ١٧، "ومعنى (فأكله الذئب): قتله وأكل منه، وفعل الأكل يتعلَّق باسم الشيء، والمراد بعضه".(١)

وقد ترك قولهم هذا أثرًا حزينًا في نفس يعقوب، ورغم ذلك كان على يقين نفسيّ أنَّهم كاذبون، وأنَّ يوسُف لم يأكله الذئب، إنَّما سوَّلت لهم أنفسهم أمرًا، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ يوسُف: ١٨، فلم ييأس أبدًا، وقد كرَّر ذلك مرَّة ثانية بعد أن تركوا أخاهم الثاني عند عزيز مصر، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ ﴿٨٣﴾﴾ يوسُف: ٨٣.

تسجل الآيات حال الإخوة عندما جاءوا أباهم عشاء يبكون، قال تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾ يوسُف: ١٦، وتبريرهم ما جرى ليوسُف، وادِّعائهم أكله الذئب، وإدراك يعقوب كذبهم، وأنَّ يوسُف في محنة، ولذلك سلَّم أمره لله.(٢)

ويشترك الممكِّن التعبيريّ الفعليّ (جاءوا) في قوله: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾ يوسُف: ١٦، وفي قوله: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ ﴿١٨﴾﴾ يوسُف: ١٨، مع المكوِّنات الدلاليَّة الأخرى في إنتاج الدلالة النفسيَّة على كذب إخوة يوسُف؛ فقد تعمَّدوا التأخير في المجيء حتى العشاء وجاءوا يبكون؛ لأنَّ في ذلك الوقت ينتشر الظلام الذي يخفي الملامح، ولكنَّ كذبهم كان واضحًا وتبريرهم كان مرفوضًا وحيلتهم كانت مكشوفة، فلم يحسنوا الكلام ولا

(١) تفسير التحرير والتنوير، ٢٣٧/١٢.
(٢) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ٨١/٢.

التبرير؛ لأنَّ أباهم حذَّرهم في الصباح من أكل الذئب له، فادَّعوا في المساء أنَّه أكله! فتسرَّعوا في ارتكاب جريمتهم، وتسرَّعوا في كلامهم وادِّعائهم، وتسرِّعوا في اتِّهام الذئب، وتسرَّعوا في إحضار قميصه، بعد أن تسرَّعوا في تلطيخه بدماء أخرى غير دماء يوسُف.(١)

ويوحي تصوير قدومهم بالتعبير الفعليّ: (جاءوا) بالتواني والتمهُّل مع شيء من الخوف والرهبة، وعدم الاهتمام بما حدث وتهوينه، وممَّا يصاحب تصويرهم بالتواني أنَّه لو أكل الذئب أخاهم لرجعوا مهرولين نادمين غير أنَّهم لمَّا كادوا ليوسُف اختير فعل المجئ ليصف إخبارهم أنَّ (أكله الذئب) كذب هذا من جهة، ومن جهة ثانية أنَّهم أظهروا التواني والتمهُّل؛ رغبة في التدليس على أبيهم.بأنَّهم اغتموا على أخيهم، أو تعبوا من لعبهم، فيكون تصوير الرجوع على هذه الحال شاهدًا على كذبهم؛ فجاءت الدلالة على ذلك من طريق الإشارة والإيحاء بالرمز اللغويّ الأنسب لإظهار ذلك.(٢)

وبذلك يتجلَّى إسهام الممكِّنات المساعدة (صوت – حركة – إشارة – لون) مع الممكِّن الرئيس في إبراز الدلالالة النفسيَّة الكامنة، وهذه الممكِّنات المساعدة هي: حركة المجيء التي تتسم بالتواني والتمهُّل، وصوت بكاء إخوة يوسف، وإيماءات الوجه وتعبيراته، ولون ظلام الليل وقت مجيئهم.

ومن ثَمَّ فالممكِّنات التعبيريَّة اللسانيَّة الظاهرة يكمن خلفها دلالات نفسيَّة عميقة، ومن هذه الدلالات (الكَذب والخداع) التي أفصح عنها التعبير الفعليّ (أكله الذئب) الوارد على لسان إخوة يوسُف، وقد اتَّخذوه من قول أبيهم: (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون).

(١) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ١٠٢/٢، ١٠٣.
(٢) انظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، للعارضي، ص١٨٢.

٣- الكيد والحسد والمكر:

تكمن هذه الدلالة النفسيَّة وراء بعض الممكِّنات التعبيريَّة الاسميّة والفعليَّة غير المباشرة، ومن ذلك الممكِّن الاسميّ (ضلال) الذي جاء في أسلوب مؤكَّد بقرائن تأكيديَّة، وكذلك الممكِّن الفعليّ الطلبيّ: (اطرحوه) الذي ورد معطوفًا على فعل طلبيّ آخر، هو: (اقتلوا يوسُف).

ورد الممكِّن التعبيريّ: (ضلال) ثلاث مرَّات، **أوَّلها:** على لسان إخوة يوسُف في حديثهم عن أبيهم، **وثانيها:** على لسانهم أيضًا في مخاطبتهم أباهم، **وآخرها:** في حديث نسوة المدينة عن امرأة العزيز، ووراء هذا الممكِّن في مواضعه تكمن دلالة نفسيَّة هي الكيد والحسد والمكر.

جاء هذا الممكِّن التعبيريّ في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨﴾ يوسُف: ٨، والمعنى: إنَّ أبانا في بعد واضح عن طريق الصواب؛ نتيجة حبِّه يوسُف وأخاه وإيثارهما علينا بهذه المحبَّة.[١]

فيراد بـ(الضلال) إخطاء مسلك الصواب في التدبير للعيش، لا في الدين والاعتقاد[٢]، أو يراد به العدول عن الطريق المستقيم، أو كلُّ عدول عن المنهج عمدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠﴾ يوسُف: ٣٠، وقد نُسب إلى نبي الله يعقوب، في قول أولاده: (إنَّ أبانا لفي ضلال مبين)؛ إشارة إلى شغفه بيوسُف وشوقه إليه.[٣]

وهذا الممكِّن التعبيريّ يُشعر بدلالة نفسيَّة مفادها أنَّ إخوة يوسُف يكيدون له كيدًا مضمرً في نفوسهم، دفعهم إلى اجتماعهم وغرورهم بعصبتهم،

---

(١) انظر: الكشاف، ٢٥٧/٣، وتفسير الطبري، ٣٣٢/٤، والمحرر الوجيز، ٢٢١/٣.
(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٢٢٢/١٢.
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، ص٢٩٧، ٢٩٨.

واتِّهامهم أباهم أنَّه حاد عن الصواب نتيجة حبِّه يوسُف وأخاه، وهذا أمر نفسيّ يغشاهم من داخلهم، ودليل ذلك أنَّهم استخدموا الممكِّن التعبيريّ نفسه في مخاطبة أبيهم مرَّة أخرى، في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ يوسُف: ٩٥؛ أي: إنَّك لفي ذهابك عن الصواب، قدمًا في محبتك يوسُف ولهجك بذكره ورجائك لقائه.(١)

وقد ورد هذا الممكِّن التعبيريّ –أيضًا– في حديث نسوة المدينة عن امرأة العزيز، في قوله تعالى: ﴿*وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ يوسُف: ٣٠؛ أي: إنَّا لنراها في خطأ وبعد عن طريق الصواب(٢)، أو لفي خطأ من الفعل، وجَوْرٍ عن قصد السبيل، واضح لمن تأمَّله.(٣)

وهذا ينبثق عن كيد ومكر مضمر في نفوس نسوة المدينة لامرأة العزيز؛ لأنَّهنَّ أصدرون حكمهنَّ قبل معرفتهنَّ الحقيقة، ويؤكِّد هذه الدلالة النفسيَّة أنهنَّ أصدرن حكمًا آخر مغايرًا بعد رؤيتهنَّ يوسُف، وهذا ما بيَّنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ يوسُف: ٣١.

وبذلك تسهم الممكِّنات المساعدة في تعصيد الدلالة النفسيَّة التي تمخَّض عنها الممكِّن الرئيس، وهذه الممكِّنات المساعدة، هي: الإيتاء بممكِّنٍ مباشر (بمكرهنَّ) مرادف للدلالة النفسيَّة بلفظه ومعناه (الكيد والحسد والمكر).

يتبيَّن أنَّ هذا الممكِّن التعبيريّ الاسميّ في السورة، يتمخَّض عن دلالة نفسيَّة كامنة في عقل المتكلِّم، كانت مثيرًا نتجت عنه دلالة نفسيَّة من خلال

(١) انظر: الكشاف، ٣/٣٢٤.
(٢) انظر: الكشاف، ٣/٢٧٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري، ٤/٣٤٨.

الممكِّنات الواردة في استجابة السامع، وقد ساعد على هذه الدلالة ممكِّنات مساعدة مباشرة مثل (مكرهنَّ – كيدهنَّ، ، وكذلك من الممكِّنات المساعدة الثنائيَّة الضديَّة في حكم النسوة على يوسف قبل رؤيته وبعد رؤيته، ومن الممكِّنات المساعدة أيضًا حاسة البصر المستخدمة في رؤية يوسف (فلمَّا رأينه أكبرنه).

وقد كمنت هذه الدلالة النفسيَّة (الكيد والمكر والحقد والحسد) –أيضًا– في الممكِّن التعبيريّ الفعليّ الطلبيّ (اطرحوه) في قوله تعالى: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ يوسُف: ٩

تدور دلالة مادة هذا الفعل (طرح) في المعاجم حول معنى الرمي؛ فطرح بالشيء وطَرَحَه يطرحه طرْحا: رمى به[١]، وهو من أفعال الحركة الانتقاليَّة المطلقة، وأهم ما يميِّز هذه الأفعال اشتراكها في ملمحي (الحركة، والانتقال)، ثم تأتي الملامح الدلاليَّة الأخرى[٢] كالحركة غير المكرَّرة التي تحدث دفعة واحدة)، وإبعاد الشيء إلى موضع محدَّد، وعن موضع محدَّد.[٣]

ودلالة الرمي والطرح الصريحة هذه في هذا الممكِّن تكشف عن دلالة نفسيَّة كامنة مفادها ما في نفوس إخوة يوسُف من الحسد والكيد والمكر، حتى وصل بهم الأمر إلى أن تقترح نفوسهم القتل، ثم الطرح، ثم الإلقاء في غيابات الجبّ؛ وغاية ذلك: أن يخلوا لهم وجه أبيهم.

(١) انظر: لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة (طرح).

(٢) انظر: الدلالة والحركة، ص٧٠.

(٣) انظر: الدلالة والحركة، ص١٠٢، ١٠٣.

فمادة الفعل (طرح) تضمَّنت دلالات تعبِّر عن نوبة صرع جامحة للنفس لا تجد من يروِّضها ويطفئ نارها إلاَّ بالخلاص من هذا الفتى الصغير؛ فكانت فكرة الطرح.(١)

ولذلك فللممكِّن الفعليّ الطلبيّ (اطرحوه) دلالتان، **الأولى:** صريحة واضحة ظاهرة مباشرة، **والأخرى:** نفسيَّة كامنة خلف هذا الممكِّن، وهي الحسد والكيد والمكر، من خلال البدائل: القتل – الطرح والإلقاء في غيابة الجبّ، ثمَّ استقر رأيهم على الإلقاء؛ ومن ثمَّ فالدلالات النفسيَّة التي تتمخَّض عنها الممكِّنات التعبيريَّة في سورة يوسف دلالات إيجابيَّة.

٤- الاطمئنان النفسيّ وحسن المآل:

تتمخَّض بعض الممكِّنات التعبيريَّة الفعليَّة عن الدلالة النفسيَّة (الاطمئنان النفسيّ وحسن المآل)، ومن ذلك الممكِّن الفعليّ المضارعيّ (يجتبيك ربُّك)، في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ ٦﴾ يوسُف: ٦

معنى الاجتباء في اللغة: الجمع؛ فيقال: جبيت الماء في الحوض أي جمعته. ويسمَّى الحوض الجامع له: جابية. ومنه استعير: جَبيت الخَراج جِباية. واجتباء الله الأنبياء تخصيصه إياهم بفيض إلهيّ يتحصَّل لهم منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد؛ ومنه ما ورد في سورة يوسُف (وكذلك يجتبيك ربُّك).(٢)

(١) انظر: دلالة الألفاظ التي انفردت بها سورة يوسُف في ضوء وحدتها الموضوعية، جهاد محمد فيصل النصيرات وأحمد حسين إسماعيل حسين، د.ن، م٢٠١٤، ص٧.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، ص٨٧، ٨٨.

ومعنى الاجتباء الاختيار والاصطفاء؛ ولذلك فمعنى (يجتبيك ربُّك) يختارك ويصطفيك[1]، وهذا اجتباء إلهيّ مستقبليّ، وقد تحقَّق بعد ابتلاءات مرَّ بها يوسُف؛ ممَّا يجعل الفعل يفيض بالدلالة على الاشتياق والرغبة وحسن المآل.[2]

فهذا الممكِّن التعبيريّ الفعليّ يفيض بدلالات نفسيَّة عند المخاطِب والمخاطَب؛ إذ يتمخَّض عن فرح يعقوب الداخليّ ومعرفته أنَّ الرؤيا بشارة بنبوَّة يوسُف؛ ولذلك نهاه عن قصِّ رؤياه على إخوته خشية الكيد، ثمَّ أخبره باجتباء الله له، وما يترتَّب على ذلك من تعليمه تأويل الأحاديث وإتمام نعمته عليه وهي النبوَّة كما أتمَّها على أبويه من الأنبياء قبله.

كما ترك هذا الممكِّن أثرًا نفسيًّا طيِّبا في يوسُف منذ أن أخبره أبوه بذلك الاجتباء؛ وما نتج عن ذلك من دلالات بعثت في نفسه الاطمئنان إلى حسن المآل.

ويتمخَّض الممكِّن الفعليّ الطلبيّ (أكرمي مثواه) عن الدلالة النفسيَّة ذاتها (الاطمئنان النفسيّ وحسن المآل)؛ إذ ورد على لسان عزيز مصر مخاطبًا امرأته، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِى مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ ٢١﴾ يوسُف: ٢١؛ فبعث في نفس يوسُف اطمئنانًا كبيرًا، ويؤكِّد هذه الدلالة الممكِّن التعبيريّ المساعد، الصريح المباشر الدالّ على التمكين (مكنَّا).

فمعنى (أكرمي مثواه): اجعلي منزله ومقامه عندنا كريمًا حسنًا مرضيًّا؛ أي تفقَّديه بالإحسان وتعهَّديه بحسن الملكة؛ حتى تكون نفسه طيِّبة في صحبتنا،

(١) انظر: المحرر الوجيز، ٣/٢٢٠.

(٢) انظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، للعارضي، ص٣٧.

ساكنًا في كنفنا[1]، وهذه فراسة العزيز في معاملة يوسُف؛ إذ سيقت ممكِّنات تعبيريَّة كلاميَّة تزرع في نفس يوسُف السكينة والطمأنينة.

لقد توسَّم عزيز مصر في يوسُف خيرًا، فلم يعامله معاملة الرقيق كباقي العبيد، إنَّما نظر له نظرة خاصَّة، وله فيه فراسة صادقة، وذكاء لمَّاح، ولهذا أوصى امرأته بإكرام إقامته في بيته.[2]

ويسهم في إبراز هذه الدلالة الممكِّن المساعد (التكرار)؛ إذ كرَّر يوسُف هذه القول عندما راودته امرأة العزيز ليذكِّرها بوصيَّة العزيز، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴿٢٣﴾﴾ يوسُف: ٢٣، وفي التكرار ما يدلُّ على الأثر النفسيّ، وما يوحي به من والسكينة والاطمئنان والحفظ والحماية والرعاية.

لقد ظهرت التجليَّات النفسيَّة لهذا الممكِّن التعبيريّ الفعليّ؛ إذ بعث في نفس يوسُف مجموعة من المشاعر الداخليَّة، وكأنَّه بشارة لما سيؤول إليه أمره في المستقبل؛ ولذلك جاء بعده: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴿٢١﴾﴾ يوسُف: ٢١، ثمَّ كان التمكين من قبل الملك، في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴿٥٦﴾﴾ يوسُف: ٥٤ – ٥٦؛ فالاجتباء الإلهيّ عاقبته حسن المآل.

وثمَّة ممكِّنات مساعدة أثْرَت الدلالة النفسيَّة التي تمخَّض عنها الممكِّن الرئيس، وهي: تكرار الممكِّن الرئيس (أكرمي مثواه) بمعناه دون لفظه (أحسن مثواي)، والإيتاء بممكِّنات مساعدة مباشرة (مكنَّا) مرادفة للدلالة النفسيَّة فالتمكين اطمئنان وحسن مآل.

وقد تبيَّنت هذه الدلالة النفسيَّة –أيضًا– في الممكِّن التعبيريّ الفعليّ الطلبيّ الدال على الاجتباء أيضًا: (أفتنا) في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ

(١) انظر: الكشاف، ٢٦٦/٣.

(٢) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ١١٠/٢، ١١١.

وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴿٤٦﴾ يوسُف: ٤٦، فهو اجتباء ملكيٌّ ليوسُف دون غيره لتأويل رؤيا الملك؛ وهذا الاجتباء يبعث في نفسه الاطمئنان النفسيّ، وحسن المآل.

ومعنى الإفتاء: الإخبار بالفتوى، والإخبار بإزالة مُشْكِل، أو الإرشاد إلى إزالة حيرة(١)؛ ولذلك دلَّ قولهم: (يوسُف أيُّها الصديق أفتنا) على ثقتهم في صدق يوسُف في تعبير الرؤيا؛ إذ أصبح ذلك يعادل الفتوى التي تعتمد اليقين.(٢)

وقد وصف الساقي يوسُف بـ(الصدِّيق)؛ لأنَّه عرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه؛ تأويلاً طابق الحقيقة(٣)، ولأنَّه جرَّب صدقه في غير شيء وهو بناء مبالغة من (صدق).(٤)

لقد كان يوسُف صادقًا في كلّ شيء، في تأويل الرؤى، وفي عفَّته وطهارته، وفي حديثه، وقد قصَّ الساقي رؤيا الملك على يوسُف بنفس الألفاظ التي نطق بها الملك؛ ليكون التعبير صحيحًا؛ لأنَّ أيّ تصرُّف في الألفاظ بزيادة أو نقصان، قد يؤثِّر على استيعاب المعبّر لها، ومن ثم قد يؤثِّر على حسن تأويها وتعبيرها، ولهذا كان الساقي أمينًا في النقل، وفي تبليغ الرسالة...(٥)

وهنا تسهم الممكِّنات المساعدة فيما تمخَّض عنه الممكِّن الرئيس من الدلالات النفسيَّة، وهذه الممكِّنات هي: الوصف (وصف يوسف بالصدِّيق)، وثبات الألفاظ دون نقص أو زيادة أو تغيير (نقل الساقي رؤيا الملك كما هي دون نقص أو زيادة أو تغيير).

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٢٧٨/١٢.
(٢) انظر: قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص٤٢٦.
(٣) انظر: الكشاف، ٢٩٢/٣.
(٤) انظر: المحرَّر الوجيز، ٢٤٩/٣.
(٥) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث ،٢/ ١٥٦، ١٥٧.

كما أنَّ الممكِّن التعبيريّ الطلبيّ (أفتنا) يناسب السياق؛ لأنَّ الرؤيا صادرة من الملك، فلا بدَّ من فتوى؛ لأنَّ المقام لا يقبل الاجتهاد ولا التأويل؛ إنَّما يستدعي الفتوى القاطعة، يوسُفيَّة المصدر.

فلمَّا علم السجين الناجي (ساقي الملك) بعجز الملأ عن تأويل رؤيا الملك، تذكَّر صاحبه السجين (يوسُف)، وتذكَّر علمه الصادق بتأويل الرؤى، فجاء إليه في السجن وكلّه أمل وثقة أن يؤوِّل رؤيا الملك التي أشغلت الناس، فقصَّ على يوسُف الرؤيا وأوّلها يوسُف.(١)

ولعلّ ورود ساقي الملك إلى يوسُف يستفتيه في تأويل رؤيا الملك يكشف عن هذه الدلالة النفسيَّة (الاطمئنان النفسيّ)؛ نتيجة اجتباء يوسُف ليكون مصدر الإفتاء في تأويل رؤيا الملك.

ولمَّا جاء السجين برؤيا الملك فسَّرها يوسُف مباشرة دون تقديم ما يبيّن علمه بذلك؛ لأنَّ من جاء عليه بالرؤيا هو السجين الناجي الذي تحقَّق فيه تأويل رؤيا يوسُف من قبل.

وفي هذا الاجتباء دلالة على قناعة الملك الداخليَّة ومن حوله بتأويل يوسُف؛ ولذا استخدم القرآن هذا الممكِّن التعبيريّ لما له من دلالة يقينيَّة، وكأنَّ يوسُف هو مصدر الفتوى في تفسير الرؤى آنذاك، بعد أن أيقنوا علمه بذلك عندما فسَّر رؤيا السجينين من قبل.

وقد ورد في تفسير رؤيا السجينين الممكِّن التعبيريّ: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ ﴿٣٦﴾﴾ يوسُف: ٣٦؛ بينما في رؤيا الملك ورد (أفتنا) فدلَّ الأخير على ثقتهم في يوسُف وفي تأويله الرؤى تأويلاً صحيحًا. كما أنَّ يوسُف في المرَّة الأولى لم يفسِّر رؤيا السجينين مباشرة، إنَّما أراد أن يثبت لهم علمه بتأويل الرؤى، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن

(١) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ٢/ ١٥٦.

يَأۡتِيَكُمَآ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ ﴿٣٧﴾﴾ يوسُف: ٣٧، ثُمَّ بيَّن القرآن بعد ذلك صدق يوسُف وعلمه في تفسير الرؤى، وجعل تأويله كالفتوى التي تؤخذ من أهلها؛ إذ عبَّر القرآن في نهاية تأويل يوسُف رؤيا السجينين بالممكِّن (تستفتيان) في قوله تعالى: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ يوسُف: ٤١

وبتفسير يوسُف رؤيا الملك زرع مشاعر نفسيَّة داخليَّة تفصح عن دلالات عميقة بثقة الملك فيه وقناعته به وبعلمه، فطلب رؤيته، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ﴿٥٠﴾﴾ يوسُف: ٥٠، لكنَّ يوسُف أبى إلاَّ أن يخرج بريئًا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ ﴿٥٠﴾﴾ يوسُف: ٥٠

وممَّا يسهم في إبراز هذه الدلالة النفسيَّة الممكِّنات المساعدة، وهي (التكرار)، واستخدام ممكِّن مساعد مباشر (مكين أمين) مرادف للدلالة النفسيَّة بمعناه دون لفظه.

فبعد أن تحقُّق الملك من قصة المراودة، تبيَّنت له براءة يوسف، فكرَّر طلبه، وزاد على الأوَّل أنَّه أراد أن يستخلصه لنفسه، وبشَّره بالتمكين والأمان، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾﴾ يوسُف: ٥٤

وبعد الشهادات الصريحة المؤكَّدة من نسوة المدينة ومعهنَّ امرأة العزيز ازداد الملك إعجابًا بيوسُف وشاق إلى لقائه، وفي هذه المرَّة لم يقل: (ائتوني به) فحسب، بل قال بكلِّ صراحة (ائتوني به أستخلصه لنفسي)، فما أجمل النظم القرآنيّ في تعبيراته وإيحاءاته وأسراره النفسيَّة والبيانيَّة في ورود (أستخلصه) في موضعها[1]؛ أي أجعله من خلصائي دون غيري.[2]

(١) انظر: قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص٤٢٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري، ٤/ ٣٦٦.

ورَفْض يوسُف الخروج من السجن والذهاب إلى الملك، يوحي بمشاعر نفسيَّة هي احترام الملك يوسُف وإعجابه بعلمه وحكمته في تعامله مع المواقف، كما أنَّ قول يوسُف للبشير: (ارجع إلى ربِّك ...) وتفضيله المكوث في السجن، دون أن يذهب معه قبل نصوع الحقيقة، يوحي نفسيًّا بالاطمئنان النفسيّ وحسن المآل، من خلال الممكِّنات التعبيريَّة الثلاثة للاجتباء، **الأوَّل:** اجتباء من قبل عزيز مصر: (أكرمي مثواه)، **والثاني:** اجتباء إلهيّ (يجتبيك ربُّك)، **والأخير:** اجتباء ملكيّ: (أفتنا)، وهذا الممكِّنات الثلاثة الرئيسة تتمخَّض عن دلالة نفسيَّة واحدة هي: الاطمئنان النفسيّ وحسن المآل.

ويسهم مع هذه الممكِّنات الرئيسة في إبراز الدلالة مجموعة من الممكِّنات المساعدة، كالتكرار، واستخدام ممكِّنات مساعدة مباشرة مرادفة للدلالة النفسيَّة بمعناها دون لفظها: (مكنَّا – مكين أمين).

المبحث الرابع

المهادنة الدلاليَّة وتعدُّد الدلالات

١- المهادنة الدلالية النفسيَّة:

يُقصد بالمهادنة الدلاليَّة الثنائيَّة الضديَّة أو ازدواجيَّة الدلالة النفسيَّة الكامنة وراء الممكِّن التعبيريّ الواحد اسميًّا كان أو فعليًّا.

أ- الاختيال والفخر:

يتمخَّض الممكِّن التعبيريّ الاسميّ غير المباشر (ونحن عُصبة) عن مهادنة دلاليَّة نفسيَّة كامنة أو ازدواجيَّة دلالية نفسيَّة هي الاختيال والفخر.

لقد ورد هذا الممكِّن التعبيري مرَّتين على لسان إخوة يوسُف في محاورتهم أباهم، **الأولى:** في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴿٨﴾﴾ يوسُف: ٨، **والأخيرة:** في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ يوسُف: ١٤

يدلُّ هذا الممكِّن (عُصبة) على التوافق النفسيّ والفكريّ والاجتماعيّ والوحدة والتعاضد؛ إذ فيه الإشارة إلى الارتباط، وتوحيد الكلمة، والقدرة العالية، والعزم على بلوغ المراد.(١)

وقد تباينت أقوال العلماء في عدد العُصبة من الناس؛ فقيل: هم العشرة فصاعدا، وقيل إلى خمسة عشر، وقيل إلى الأربعين(٢)، والعصبة في اللغة

---

(١) انظر: الأبعاد النفسية للألفاظ في القرآن الكريم دراسة تحليلية دلالية، مجيب سعد الكرعاوي، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد العشرون، ٢٠١١م، ص٢١٨، ٢١٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ٣٣٢/٤، ومعاني القرآن، لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م، ٣٥/٢، والكشاف، ٢٥٧/٣، ٢٥٨.

هي الجماعة المتعصِّبة المتعاضدة؛ فمعنى (نحن عصبة) نحن جماعة متعاضدة.(١)

وتفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ يوسُف: ٨، ونحن عشرة رجال كفأة تُعصب بنا الأمور، نقوم بمرافق أبينا، فنحن أحقُّ بزيادة المحبَّة منهما، لفضلنا بالكثرة(٢)، التي تضرّ وتنفع، وتحمي وتخذل؛ فتنبغي المحبَّة لنا، دون غيرنا.(٣)

يتبيَّن من ورود هذا الممكِّن في سياقاته أنَّ إخوة يوسُف يختالون لأنفسهم؛ تفاخرًا بكثرة عددهم، وفي الوقت ذاته يفخرون على يوسُف وأخيه؛ لقلَّة عددهما، وهذه مهادنة دلاليَّة كامنة وراء الممكِّن التعبيريّ الواحد.

وجاء التفسير نفسه في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ يوسُف: ١٤، فهم أقسموا لأبيهم قائلين: لئن أكل الذئب يوسُف من بينهم وهم عشرة رجال، بمثلهم تعصب الأمور وتكفي الخطوب إنَّهم إذا لقوم خاسرون.(٤)

وكان إخوة يوسُف يحسُّون برابط الإخوَّة بينهم إحساسًا قويًّا كقوَّة إحساسهم بغربة يوسُف وأخيه؛ فيصفون أنفسهم بلفظ (عُصبة)، ويجعلون هذا الوصف مقابلاً يوسُف وأخيه مرَّة، ويوسُف وحده مرَّة أخرى.(٥)

وهذه الدلالة التي تشعُّ من قولهم: (ونحن عُصبة) تتَّصل بسلوك اجتماعيّ، هو الغرور والاتِّفاق على الشرِّ ومحاولة الفتك.(٦)

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، ص٣٣٦.
(٢) انظر: الكشاف، ٢٥٧/٣، ٢٥٨.
(٣) انظر: المحرر الوجيز،٢٢١/٣.
(٤) انظر: الكشاف، ٢٦٠/٣.
(٥) البيان في روائع القرآن، ص٥٧٨، ٥٧٩.
(٦) انظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، للعارضي، ص١١٢.

ومن ثَمَّ فالممكِّن التعبيريّ الاسميّ (ونحن عُصبة) في الموضعين يفصح بطريقة غير مباشرة عن ازدواجيَّة دلاليَّة نفسيَّة كامنة **طرفها الأوَّل:** اختيال إخوة يوسف بكثرة عددهم؛ الذي كان الأحرى أن يكون دافعًا للاستحواذ على القدر الأكبر من حبِّ أبيهم، **وطرفها الآخر:** فخرهم على يوسُف وأخيه نتيجة قلَّة عددهما، وهذه الدلالة تكشف عن رغبتهم الداخليَّة في إبعاد يوسُف عن أبيه؛ فكانت اقتراحاتهم الثلاثيَّة: القتل أو الطرح أو الإلقاء في الجبّ، وهي رغم ذلك دلالة نفسيَّة إيجابيَّة؛ حيث إنَّهم استقرُّوا على إلقاء يوسف في الجبّ كي يلتقطه بعض السيَّارة.

وكانت هذه الدلالة النفسيَّة (الاختيال والفخر) مثيرًا نتج عنه استجابة يعقوب، في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ١٣﴾ يوسُف: ١٣، فعكست الاستجابة دلالة نفسيَّة مفادها حزن يعقوب وخوفه على يوسُف من كيد إخوته؛ ولذلك عبَّر عن حزنه بممكِّن مباشر هو (إنِّي ليحزنني أن تذهبوا به)، ثم خاطبهم بما يخشاه: (وأخاف أن يأكله الذئب)، وقد صدق خوفه فيما أفصحوا عنه حين جاؤوا عشاء يبكون قائلين: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ١٧﴾ يوسُف: ١٧

ب- الرغبة والإنكار:

ثمَّة ممكِّنات تعبيريَّة تحمل مهادنة دلاليَّة نفسيَّة أو ثنائيَّة ضديَّة، مثل: الرغبة الأنثويَّة والإنكار الذكوريّ اليوسُفيّ، ومن ذلك الممكِّن التعبيريّ الفعليّ (واستبقا الباب) في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٥﴾ يوسُف: ٢٥

الفعل (استبقا) من أفعال الحركة الانتقاليَّة السريعة، وتدور دلالة مادته حول دلالة المُقدِّمة في الجري وفي كلِّ شيء، ومن أهم ملامحه الدلاليَّة: الحركة، والانتقال، والسرعة، والتنافس، وكثرة دلالاته المعنويَّة.(١)

فمعنى (استبقا الباب) تسابقا إليه، على حذف الجارّ وتضمين الفعل (استبقا) معنى (ابتدرا)؛ فأمَّا يوسُف فقد نفر منها وأسرع يريد الباب فارًّا من ارتكاب الفاحشة لمَّا رأى برهان ربِّه فزجره عنها، وأمَّا امرأة العزيز فقد أسرعت وراءه كي تمنعه من الخروج وتردَّه إلى نفسها.(٢)

ومن ثَمَّ فهذا الفعل يحمل ثنائيَّة دلاليَّة نفسيَّة ضديَّة في **موضع واحد**؛ إذ يتمخَّض عن الرغبة الداخليَّة الأنثويَّة لامرأة العزيز، التي تبدَّت في أفعالها وأقوالها، فالأفعال: (وراودته – وغلَّقت الأبواب) والأقوال: (وقالت هيت لك)، ونقيضها: الرفض والإنكار اليوسُفيّ الداخليّ الذي تجلَّى في أقوال يوسف: (قال معاذ الله – إنَّه ربي أحسن مثواي – إنَّه لا يفلح الظالمون).

ج- القُبح والوسامة:

تتمخَّض بعض الممكِّنات التعبيريَّة عن ثنائيَّة دلاليَّة ضديَّة نفسيَّة، هي القبُح الوسامة، ومن ذلك الممكِّن الاسميّ (فتى) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ ﴿٣٠﴾﴾ يوسُف: ٣٠

فلا يخلو هذا الممكِّن (فتاها) بمنظار النسوة على لسانهنَّ من إشارة إلى توقُّعهنَّ قبح منظره؛ لأنَّه (عبد – مولى)، ويشهد بهذا الإيحاء أنَّهنَّ ما رأينه من قبل. أمَّا بمنظار آخر فهذا الممكِّن يدلُّ على الفطرة والتمثُّل الحيّ الواعي للضوابط الاجتماعيَّة والحياء والأمانة؛ ولذلك كذب توقعهنّ لمَّا رأينه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ

(١) انظر: الدلالة والحركة، ص٢٨٥، ٢٨٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ٣٤٥/٤، ٣٤٦، والكشاف، ٢٧١/٣، والمفردات في غريب القرآن، ص٣٢٠.

﴿إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ يوسُف: ٣١، أي: أعظمنه وهبنَ ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق، وهذا ما تضمَّنه سياق مراودة امرأة العزيز له، في قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴿٢٣﴾﴾ يوسُف: ٢٣؛ فيلحظ في هذا السياق مهادنة دلاليَّة بين القبح على لسان النسوة إثر كيدهنَّ، والدلالة على الوسامة والبهاء اللتين يطلبهما الواقع.(١)

ومن ثمَّ لا تخلو سورة يوسُف من المهادنات الدلاليَّة النفسيَّة والثنائيَّات الدلاليَّة النفسيَّة الضديَّة في الممكِّنات التعبيريَّة الاسميَّة والفعليَّة، نحو: الاختيال والفخر في الممكِّن التعبيريّ الاسميّ (ونحن عُصبة)، والقُبح والوسامة في (فتاها)، والرغبة الأنثويَّة والإنكار الذكوريّ اليوسُفيّ في الممكِّن التعبيريّ الفعليّ (واستبقا الباب).

(١) انظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، للعارضي، ص١٥٦، والكشاف، ٢٧٨/٣.

٢- تعدُّد الدلالات النفسيَّة للممكِّن التعبيريّ:

يتمخَّض الممكِّن التعبيريّ الواحد عن مجموعة متعدِّدة من الدلالات النفسيَّة، تصل إلى ثلاث دلالات، بحسب ورود هذا التعبير في سياقات مختلفة.

ويشهد لذلك أنَّ اللفظ الواحد يقع مقبولاً في موضع سياقيّ ويقع مكروهًا في موضع سياقيّ آخر، فالكلمة تروق الناس وتؤنسهم في موضع سياقيّ، ثم هي نفسها تثقُل عليهم وتُوحشهم في موضع سياقيّ آخر، فيكون للكلمة في موضع ما من الثِّقل على النفس والتنغيص والتكدير، أضعاف ما يكون لها في موضع آخر من الروح والخفَّة والإيناس والبهجة؛ أي تكون الكلمة مقبولة حسنة تفرع السماك في موضع، وضعيفةً مستكرَهة تلاصق بالحضيض في موضع آخر.(١)

فالألفاظ لا تتفاضل لكونها ألفاظًا مجرَّدة، ولا لكونها كلمات مفردة؛ إنَّما الفضيلة تكمن في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها. فالكلمة تحسُن وتستحقُّ المزيَّة والشرف من خلال المجاورة مع أخواتها في النظم لا في ذاتها ولا على انفرادها(٢)؛ لأنَّ ثمَّة أهمية لمكان اللفظة من النَّظْم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانساتها لأخواتها؛ وذلك أنَّ الإعجاز يتجلَّى في ارتباط الكلم بعضها ببعض، وفي ملاقاة الكلمة الأولى الثانية والثالثة بالرابعة؛ فالفضل في تناتج ما بينها ويحصل من مجموعها.(٣)

وقد تعدَّدت الدلالات النفسيَّة للممكِّن الاسميّ (قميص)؛ فهو حمَّال دلالات نفسيَّة بحسب ما ورد في من سياقات وملابسات اجتماعيَّة؛ إذ ورد في **أكثر من موضع**؛ فكان له أكثر من دلالة نفسيَّة من لدن المتحاورين، من خلال ما يجاوره من الكلمات أو ما يتقيَّد به من وحدات قبليَّة أو بعديَّة تعدُّ ممكِّنات

(١) انظر: دلائل الإعجاز، ص٤٦، ٤٧.
(٢) انظر: دلائل الإعجاز، ص٤٤، ٤٧، ٤٨ بتصرف.
(٣) انظر: دلائل الإعجاز، ص٤٤، ٤٥.

مساعدة للممكِّنات الرئيسة، تسهم في إبراز الدلالات الكامنة وراء الممكِّنات التعبيريَّة.

كان في قميص يوسُف ثلاث آيات، **أوَّلها:** كان دليلاً ليعقوب على كذب أبنائه، **وثانيها:** كان دليلاً على براءة يوسُف حين قُدَّ من دبر، **وآخرها:** ألقاه البشير على وجه يعقوب فارتدَّ بصيرًا.(١)

الدلالة النفسيَّة الأولى: الحزن والشجن، إذ أضيف القميص إلى ضمير يوسُف، وعليه دم كذب، في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ ﴿١٨﴾﴾ يوسُف: ١٨؛ فانبعث منه حزن يعقوب.

ومعنى (بدم كذب): بدم ذي كذب، أو هو من باب الوصف بالمصدر للمبالغه، كأنَّه نفس الكذب وعينه، والزور ذاته.(٢)

قال إخوة يوسُف لأبيهم: أكل الذئب يوسُف. وهم ذبحوا جديًا ولطَّخوا بدمه قميص يوسُف أو غمسوه فيه، وزلَّ عنهم أن يمزِّقوه؛ فأخذه يعقوب وتأمَّله فلم ير خرقًا ولا أثر ناب؛ فاستدلَّ بذلك على كذبهم؛ وقال: ما رأيت ذئبًا أحلم من هذا، أكل ابني ولم يمزِّق قميصه؛ وروي أنَّه قال: لقد كان هذا الذئب رفيقًا بابني، مزَّق جلده ولم يمزِّق ثيابه.(٣)

فقد يكون المصدر (كذب) جاء مكان المفعول (مكذوب) لأنَّه بمعناه؛ أي بدم مكذوب، إذْ هو دم حقًّا لكنَّه دم جدي وليس دم يوسُف الحقيقيّ(٤)، والعرب

(١) انظر: الكشاف، ٢٦٣/٣، والمحرر الوجيز، ٢٢٧/٣.
(٢) انظر: الكشاف، ٢٦٢/٣، والتحرير والتنوير،٢٣٨/١٢.
(٣) انظر: معاني القرآن، للفراء، ٣٨/٢، والكشاف، ٢٦٣/٣، والمحرر الوجيز، ٢٢٧/٣
(٤) انظر: المحرر الوجيز، ٢٢٧/٣، ومعاني القرآن، للفراء، ٣٨/٢، والتحرير والتنوير،٢٣٨/١٢.

تقول للكذب مكذوب، وللضعف مضعوف، وليس له عقد رأي ومعقود رأي؛ فيجعلون المصدر في كثير من الكلام مفعولاً.(١)

ومجيء إخوة يوسُف بالقميص ملطخًا بدم غير حقيقيّ، كشف كذبهم لأبيهم، وقد أدركوا أنَّ حيلتهم لم تنطل عليه؛ فاستدركوا قائلين: (وما أنت بمؤمنٍ لنا ولو كنَّا صادقين).(٢)

ويدلُّ التركيب الوصفيّ (دم كذب) على أنَّه لا يتناسب مع زمن وقوع الحدث المنقول افتراء، فلو كان ما ينقله الإخوة صادقًا لكان الدم قد يبس وليس دمًا طريًّا. فجاء استعمال هذا اللفظ مناسبًا لمقتضيات الحدث والسياق الاجتماعيّ الذي يشغله الكذب.(٣)

يتمخَّض القميص عن دلالة نفسيَّة على يعقوب؛ إذ أصابه الحزن والهمُّ والغمُّ عندما رآه ملطخًا بالدماء، ولم يكن بسبب أكل الذئب يوسُف؛ لأنَّه كان على يقين أنَّ يوسُف حيٌّ؛ إنَّما لأنَّ إخوة يوسُف أضاعوه، وقد ردَّ عليهم بأسلوب حكيم يعدُّ ممكِّنًا مساعدًا في إبراز الدلالة النفسيَّة: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ يوسُف: ١٨.

الدلالة النفسيَّة الثانية: القناعة بالبراءة؛ إذ كان الممكِّن التعبيريّ (قميص) حجَّة واضحة في براءة يوسُف من مراودة امرأة العزيز؛ لأنَّ قطع قميصه من دبر ترك أثرًا نفسيًّا في كلِّ من رأى القميص بأنَّ يوسُف لم يفعل شيئًا، إنَّما كان هذا القميص المقطوع من الدبر دليلاً على براءته، وله أثر نفسيّ على زوج امرأة العزيز. قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ ٢٥﴾ يوسُف: ٢٥؛ ولذلك توالت الأحداث بذكر

(١) انظر: معاني القرآن، للفراء، ٣٨/٢.
(٢) انظر: القصص القرآني،١٠٣/٢.
(٣) انظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، للعارضي، ص٢٠٣.

القميص المقطوع، فجاء بعد هذه الاية، ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ٢٩﴾ يوسُف: ٢٦ – ٢٩، والقميص هو هو متَّصل بالضمير العائد على يوسُف. فلمَّا رأى العزيز القميص قُدَّ من دبر أيقن من براءة يوسُف، وأدرك حقيقة التهمة الباطلة؛ فقال مخاطبًا امرأته: (إنَّه من كيدكنَّ إنَّ كيدكنَّ عظيم)، ثم دعاها إلى الاستغفار: (واستغفري لذنبك إنَّك كنت من الخاطئين).

الدلالة الثالثة: جاءت دلالة الفرح والسرور وطرح الحزن لتكون دلالة نفسيَّة أخيرة للممكّن التعبيريّ (قميص)؛ إذ به ارتدَّ يعقوب بصيرًا، وبُشِّر بيوسُف، قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا٩٣﴾ يوسُف: ٩٣، والقميص هو هو مضاف إلى ضمير المتكلِّم (يوسُف) في هذه الدلالة، بعد أن كان مضافًا إلى ضمير الغائب (يوسُف) في الدلالة الأولى.

فقوله: (اذهبوا بقميصي هذا) يدلُّ على أنَّه أعطاهم قميصه، الذي كان آية على تعجيل المسرَّة ليعقوب، ويفيد أنَّ يوسُف حيّ في مصر؛ حتَّى لا يظنُّ أنَّ دعوة قدومه إلى مصر مكيدة من ملكها، كما كان إلقاء القميص على وجه يعقوب لقصد المفاجأة بالبشرى؛ لأنَّه كان لا يبصر من بعيد، فلا يتبيَّن رفعة القميص إلاَّ من قرب.(١)

وبإلقاء القميص على وجه يعقوب رُدَّ إليه بصره، وهذا ما عبَّر عنه القرآن في قوله: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ ٩٦ ﴾ يوسُف: ٩٦

(١) انظر: التحرير والتنوير، ١٣/٥٠، ٥١.

ومن أهم الملامح الدلاليَّة للفعل (ارتدَّ): الحركة، والانتقال، والرجوع[1]؛ أي عاد إلى ما كان قبل ذلك، بعد أن بُشِّر بيوسُف حين وجد ريح قميصه، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾ يوسُف: ٩٤؛ فكان القميص في هذه المرَّة مبعث الفرح والسرور.

ومن ثَمَّ تتعدَّد الدلالات النفسيَّة للممكِّن التعبيريّ الواحد (قميصه – قميصه – بقميصي)، فتارة يبعث في النفس حزنًا وشجنًا، وتارة يدلّ على البراءة والعفَّة والطهر، وتارة يوحي بالفرح والسرور والبشارة، وذلك من خلال الممكِّنات المساعدة، وهذا وجه من وجوه الإعجاز اللغويّ في القرآن الكريم.

(١) انظر: الدلالة، ص١٦١.

نتائج البحث

- أكَّد البحث الوشائج بين علوم اللسانيَّات وعلم النفس؛ فالممكِّنات التعبيريَّة مرآةُ الفكر الإنسانيّ، لأنَّها حمَّالة شحنات من الدلالات النفسيَّة (الأفكار – السلوك – الانفعالات)؛ وهذا ما نظَّر له علماء كثيرون، مثل: فندريس، وفيجوتسكي، وبالمر، وجسبرسن، وشارل بالي.
- توصَّل البحث إلى تقسيم رباعيّ للممكِّنات التعبيريَّة التي تتمخَّض عن الدلالات النفسيَّة المكنونة، هي: (المباشرة وغير المباشرة – الاسميَّة والفعليَّة – الرئيسة والمساعدة (قبليَّة، وبعديَّة) – أحاديَّة الدلالة وثنائيَّة الدلالة ومتعدِّدة الدلالة).
- بيَّن البحث ارتباط المخرجات اللغويَّة بأفكار الإنسان الداخليَّة؛ فالدلالات النفسيَّة تكمن وراء الممكِّنات التعبيريَّة، من خلال استعمال هذه الممكِّنات في مواضعها دون غيرها من البدائل، ومن ذلك استخدام يوسُف (أبتِ) بدلاً من (أبي)، واستخدام يعقوب (بُني) بدلاً من (ابني).
- بيَّن البحث أنَّ المتكلِّم يعبِّر بالممكِّنات التعبيريَّة عمَّا يجول في داخله من انفعالات نفسيَّة، فتصير هذه الممكِّنات مثيرات ينتج عنها استجابات نفسيَّة من قِبَل السامع في صورة ممكِّنات تعبيريَّة تفصح عن المقصودات النفسيَّة لأطراف الحوار.
- للممكِّنات التعبيريَّة المباشرة وغير المباشرة، اسميَّة كانت أو فعليَّة، في سورة يوسُف قوَّة إنجازيَّة تتمحور في قيمتها الانفعاليَّة، وهذا ما بيَّنه أوستن في نظرية الأفعال الكلاميَّة.
- أكَّد البحث فكرة اللاتعارضيَّة بين الدلالة النفسيَّة والدلالات الأخرى؛ إنَّما يكمل بعضها بعضًا.
- استنتج الباحث أربع دلالات نفسيَّة تفصح عنها الممكِّنات المباشرة في سورة يوسُف، هي: (الشوق والحنين – الحزن والأسف – الرغبة والإرادة الجامحة – العاطفة الخجلى والشعور بالذنب)، وأربع دلالات أخرى

تتمخَّض عنها الممكِّنات غير المباشرة، هي: (الحنان والاستعطاف – الكذب والخديعة – الكيد والمكر والحقد والحسد – الاطمئنان النفسيّ وحسن المآل)، وهذه الدلالات النفسيَّة التي تتمخَّض عنها الممكِّنات التعبيريَّة في سورة يوسُف كلُّها دلالات إيجابيَّة.

- استنتج الباحث أنَّ الدلالات النفسيَّة قد تكمن فيما تحتويه الممكِّنات التعبيريَّة المباشرة من حركة واضطراب وعدم استقرار أو عدم تموضع، كما هو الحال في الممكِّنات الحركيَّة: (راود – آوى – مسَّنا – تولَّى)، وقد تكمن فيما يبدأ بحركة وينتهي باستقرار كما في الممكِّن: (غلَّقت).
- تنوَّعت الممكِّنات المباشرة للدلالات النفسيَّة في سورة يوسُف بين الاسميَّة والفعليَّة، ولكنَّ الممكِّنات الفعليَّة عجَّت؛ لدلالاتها على الحركة المناسبة والطلب وزمن الانفعال الذي يسهم في إنتاج المعنى، نحو: (آوى – ليحزنني – تولَّى – تحسَّسوا – راود – مسَّنا ...).
- توصَّل البحث إلى أنَّ أنَّ القطاعات اللسانيَّة (الصوتيّ، والصرفيّ، والنحويّ) تسهم بقدر في إنتاج الدلالات النفسيَّة وإثراء المعنى، ودليل ذلك أنَّ الممكِّنات التعبيريَّة التي نتج عنها دلالة (العاطفة الخجلى والشعور بالذنب)، كلَّها صيغ صرفيَّة (فاعل – فعَّل – تفعَّل) لها دور في إثراء الدلالة، نحو، وذلك بزيادة ألف المفاعلة في الممكِّن (راود)، وتضعيف العين في الممكِّن (غلَّقت)، وتكرار السين في الممكِّن (تحسَّسوا).
- توصَّل البحث أنَّ الممكنات التعبيريَّة الرئيسة لا تفصح وحدها عن الدلالات النفسيَّة؛ إنَّما يكون ذلك بمساعدة ممكِّنات مساعدة تسهم في إبراز هذه الدلالات الكامنة، مثل: التأكيد، والصوت، والحركة، والإيماءات الجسديَّة، والحذف، والتكرار، واللون، والحواس ...
- استنتج الباحث أنَّ الممكِّنات المساعدة تتركَّز كثيرًا في الوحدات البعديَّة التأكيديَّة؛ متعدِّدة المؤكِّدات؛ ممَّا يكون له أثر في إنتاج الدلالة النفسيَّة،

نحو: (وإنَّا له لحافظون – وإنَّا لصادقون – وإنَّا لفاعلون – إنَّا كنَّا خاطئين – وإنْ كنَّا لخاطئين).

- تكمن دلالة (الاطمئنان وحسن المآل) خلف ثلاثة ممكِّنات فعليَّة تعبيريَّة غير مباشرة كلّها اجتباءات عاقبتها حسن المآل ليوسُف، **أوَّلها:** (يجتبيك) اجتباء إلهيّ، **وثانيها:** (أكرمي مثواه) اجتباء من قبل عزيز مصر، **وثالثها:** (أفتنا) وهو اجتباء ملكيّ.
- تحفل سورة يوسُف بالمهادنات الدلاليَّة النفسيَّة أو الثنائيَّات الدلاليَّة النفسيَّة الضديَّة للممكِّنات التعبيريَّة غير المباشرة، نحو: الاختيال والفخر في الممكِّن الاسميّ: (ونحن عُصبة)، والرغبة الأنثويَّة والإنكار الذكوريّ اليوسُفيّ في الممكِّن الفعليّ: (واستبقا الباب)؛ الذي يتمخَّض عن رغبة أنثويَّة لامرأة العزيز، تبدَّت في أفعالها (وراودته – وغلَّقت الأبواب) وفي أقوالها: (وقالت هيت لك)، ونقيضها: الرفض والإنكار اليوسُفيّ الذي تجلَّى في أقواله: (قال معاذ الله، إنَّه ربي أحسن مثواي، إنَّه لا يفلح الظالمون).
- الممكِّنات التعبيريَّة ليست أحاديَّة الدلالة النفسيَّة فحسب؛ إنَّما حلَّت المهادنة الدلاليَّة أو الثنائيَّة الدلاليَّة النفسيَّة في المرتبة الثانية، وقد تتجاوز ذلك إلى تعدُّد الدلالات النفسيَّة للممكِّن التعبيريّ الواحد في سياقاته المتعدِّدة، نحو الممكِّن الاسميّ الرئيس: (قميص)؛ الذي تعدَّد وروده؛ فتعدَّدت دلالاته النفسيَّة المرجوَّة من لدن المتحاورين (المتكلِّم والمخاطَب)؛ وذلك إثر الممكِّنات المساعدة، قبليَّة كانت أو بعديَّة، ففي **المرَّة الأولى:** انبعثت منه دلالة الحزن والشجن، وفي **المرَّة الثانية:** أفصح عن براءة يوسُف، وفي **المرَّة الأخيرة:** تمخَّض عن فرح يعقوب إذ به بُشِّر بيوسُف.

المصادر والمراجع

١- الأبعاد النفسية للألفاظ في القرآن الكريم دراسة تحليلية دلالية، مجيب سعد الكرعاوي، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد العشرون، ٢٠١١م.
٢- اتجاهات البحث اللساني، مليكا إفيتش، ترجمة: سعد مصلوح ووفاء كامل، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ٢٠٠٠م.
٣- الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي أسسها ونقدها، محي الدين محسب، مجلة علوم اللغة مج١ ع٢، ١٩٩٨م.
٤- الأسلوبية، بيير جيروا، ترجمة: منذر عياشي، مركز النماء الحضاري، ط٢، ١٩٩٤م.
٥- الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية قي القصص القرآني، دلخوش جار الله حسين، مجلة الآداب العدد ١٦، ٢٠١٦م.
٦- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ط١، ١٩٩٤م.
٧- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م.
٨- التعبير القرآني والدلالة النفسية، محمد عبد الله الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.
٩- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
١٠- تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل القرآن، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
١١- التفكير واللغة، جوديث جرين، ترجمة وتقديم: عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

١٢- جمالية القصة القرآنية قصة سيدنا يوسُف أنموذجًا، بان حميد فرحان، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠١، د.ت.
١٣- حضور الدرس النفسي في اللسانيات، سمية جلايلي، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقة، الجزائر، العدد الثامن، مايو ٢٠٠٩م.
١٤- الدلالات النفسية للحوار القرآني في سورة يوسُف عليه السلام، محمد هاشم ومهد شفيع، د.ن، يونيو ٢٠١٦م.
١٥- دلالة الألفاظ التي انفردت بها سورة يوسُف في ضوء وحدتها الموضوعية، جهاد محمد فيصل النصيرات وأحمد حسين إسماعيل حسين، د.ن، ٢٠١٤م.
١٦- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥، ١٩٨٤م.
١٧- الدلالة النفسية في سورة مريم، عقيل عكموش عبد، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان (٣- ٤)، المجلد(٦)، ٢٠٠٧م.
١٨- الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، محمد جعفر محيسن العارضي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القادسية، ٢٠٠٢م.
١٩- الدلالة والحركة دراسة في أفعال الحركة في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة، محمد محمد داود، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٢٠- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ / ٤٧٤هـ)، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، د.ن، د. ت.
٢١- الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ترجمة: عبد الصبور شاهين، تقديم: محمد عبد الله دراز ومحمود محمد شاكر، إشراف: ندوة مالك بن نبي، ط٤، ٢٠٠٠م.

٢٢- علم الدلالة (علم المعنى)، محمد علي الخولي، دار الفلاح، عمان، الأردن، ٢٠٠١م.
٢٣- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
٢٤- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م.
٢٥- علم اللغة النفسي بين الأدبيات اللسانية والدراسات النفسية، عزيز كعواش، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السابع، جوان ٢٠١٠م.
٢٦- علم اللغة النفسي، عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ٢٠٠٦م.
٢٧- في الأسلوبية التعبيرية الجاحظ نموذجًا، محمد رشاد الحمزاوي، مجلة المعجمية، تونس، ع١٤- ١٥، ١٩٩٩م.
٢٨- قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، ط٣، ٢٠١٠م.
٢٩- القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دار القلم دمشق، ط١، ١٩٩٨م.
٣٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، ط١، ١٩٨٨م.
٣١- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت.
٣٢- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، مكتبة الأمل، ط٢، ٢٠١٢م.

٣٣- اللغة، ج. فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، تقديم: فاطمة خليل، المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠١٤م.
٣٤- المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطيَّة (ت٥٤٦هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
٣٥- معاني القرآن، لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م.
٣٦- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
٣٧- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (جبي)، د.ت.